شعر

ماري أوليفر

مثل آدم في جنته

ترجمة: عبدالوهاب أبو زيد

صفحة 7

Mary Oliver

مثل آدم في جنته

شعر: ماري أوليفر

ترجمة: عبدالوهاب أبو زيد





الكتاب

مثل آدم في جنته

المؤلف

ماري أوليفر

الطبعة الأولى :2021

الترقيم الدولي

978-603-91551-0-2

رقم الإيداع

1442/3559

E-mail: admin@page-7.com

Website: www.page-7.com

Tel.: (00966)583210696

العنوان : الجبيل ، شارع مشهور

المملكة العربية السعودية

الفهرس

مقدمة

إنْ صحَّ ما يقال عن أنَّ الشاعر يمضي حياته كلها في كتابة قصيدة واحدة، بصيغ وأشكال وأصوات متعددة، فإن القصيدة تلك بالنسبة للشاعرة الأمريكية ماري أوليفر (1935-2019) تمتُّ بأواصر وصلات لا تهن ولا تنقطع بعالم واحد هو الطبيعة؛ الطبيعة بكل مكوناتها الحية وغير الحية، وكائناتها الأليفة وغير الأليفة، الجميل منها والقبيح، والصغير منها والكبير. كان شعرها أشبه بالنشيد المطول الذي لم ينقطع إلا مع رحيلها، في التغني بمفردات الطبيعة التي عشقتها ولازمتها واقتربت منها وعاشت فيها، وأكاد أقول، لها.

وإذا ما قدّر لك أن تقرأ شعرها عن قرب وتتأمله بحب، فإن إصابتك بعدوى حب الطبيعة أمر محتم ولا مفر منه. لن تعود نظرتك إلى شركائنا في الحياة على الأرض كما كانت. سيمتد بينك وبينها خيط علاقة لامرئي يجعلك أرفق بها وأحنى عليها وأقرب منها. على الأرجح أن ذلك لم يكن هدفًا تضعه نصب عينيها، ولكنه إن تحقق لدى بعض القراء فسيكون ذلك مصدر سعادة وبهجة لها؛ فالأدب العظيم بعد كل شيء هو ما ينجح في إحداث تغيير في نظرتك إلى الحياة وإلى العالم فلا تعود تراهما بعد قراءتك له كما كنت تراهما قبل ذلك.

ستلتقي على صفحات كتبها وفي سطور قصائدها بطيور وحيوانات وأشجار وحشرات وأحجار تعرف أسماء بعض منها، وتجهل أسماء كثير منها أو معظمها، لأنها مرتبطة بالبيئة التي عاشت فيها واستقرأتها

وحفظتها عن ظهر قلب. وعلى الرغم من أنها شاعرة غزيرة الإنتاج إلا أن كتبها لم تخرج من دائرة التعبد في محراب الطبيعة. واختيار كلمة «التعبد» لم يرد هنا اعتباطًا وليس مقتصرًا على البعد المجازي للكلمة؛ إذ أن مفردات «الصلاة» و«صلاة» والفعل «يصلي/تصلي» تصادفك في كثير من قصائدها، فالصلاة بالنسبة لها نوع من التيقظ الحاد للحواس والتحفز المضاعف لاستقبال فيوضات الطبيعة في كل لحظة تكون في أحضانها، وهي التي لا تعرف على «وجه التحديد ما هي الصلاة»، ولكنها تعرف كيف «تعير الانتباه»، كما تقول في إحدى قصائدها.

اتسمت قصائد أوليفر بيسر مأخذها وقربها من فهم القارئ العام، فلم تكن تكتب وفي ذهنها أن ترضي ذائقة نقاد الأدب والشعر الأكاديميين، فلغتها ليست صعبة ولا تحاول لفت الانتباه إلى نفسها، ومجازاتها وأخيلتها ليست مستعصية، مما أكسبها رضا القراء، وتبرم وتجاهل وربما سخط النقاد الأكاديميين، الذين لا يكتسب الشعر أهميته لدى بعضهم إلا من صعوبته وغموضه وتعاليه على الذائقة العامة، التي تبحث عما يمسُّها ويتحدث باسمها وينير بصيرتها.

وعلى الرغم من أن معظم كتبها لم تنل مراجعات إيجابية في كبريات الصحف، إلا إنها كانت من بين أكثر الشعراء مبيعًا وتسجيلاً للحضور في قراءاتها الشعرية، كما أن سيرتها لم تخل من الفوز ببعض أهم الجوائز الأدبية ومنها جائزة البوليتزر وجائزة الكتاب الوطني.

ولدت ماري أوليفر في كليفلاند، أوهايو، ودرست في جامعة أوهايو وفاسار كوليج، من دون أن تحصل على درجة علمية من أيٍّ من المؤسستين الأكاديمتين. تأثرت في بداياتها مع الشعر بالشاعرة إيدنا سينت فينسنت ميلاي، وعاشت لفترة وجيزة في منزل ميلاي، لتساعد نورما ميلاي، شقيقة إيدنا، في ترتيب أوراق وتركة شقيقتها الأدبية. وقد عُرِفَ عن أوليفر تكتمها حول حياتها الشخصية وعلاقتها بوالديها، وإن كانت ألمحت في حوار أجري معها عام 2011 إلى تعرضها للاعتداء والتحرش الجنسي. عاشت أوليفر معظم سنوات حياتها مع رفيقتها مولي مالون كوك في بروفينستاون، ماساشوستس، بالقرب من خليج كود الغني ببيئته البحرية، وهو ما ترك أثرًا عميقًا في شعرها. رحلت أوليفر عن عالمنا بعد صراع مع السرطان عام 2019 عن عمر 83 عامًا.

أما فيما يخص النصوص المترجمة في هذا الكتاب فالأغلب الأعم منها مما ورد في كتاب المختارات الذي نشرته عام 2017 بعنوان Devotions، ويضم مختارات من مجمل كتبها السابقة المنشورة، بالإضافة إلى بعض القصائد القليلة التي لم ترد في هذا الكتاب، ولكنني ترجمتها من الكتب الأصلية التي سبق نشرها من قبل. ولا بد من الإشارة هنا إلى أنني ضمنت جميع القصائد التي سبق لي ترجمتها ونشرها للشاعرة في كتاب (لست زائرًا لهذا العالم)، الذي طبعته دار سما في الكويت، عام 2015.

ولخلق نوع من الألفة بين القارئ وبين الشاعرة عمدتُ إلى ترجمة أحد حواراتها المهمة، وهي المعروفة بندرة حواراتها وإيثارها الصمت وترك الفرصة لقصائدها وشعرها للحديث عنها والتعبير عما يدور في ذهنها ويعتمل في وجدانها من أفكار ورؤى وتفاعلات. ويستشف القارئ من هذا الحوار بعض أفكارها حول الشعر وأسلوبها في الكتابة والمؤثرات الحياتية والثقافية التي تركت بصمتها في شعرها ومنحته طابعه الخاص ونكهته الفريدة.

عبدالوهاب أبو زيد

مايو 2020

حوار مع ماري أوليفر

عُرفتْ ماري أوليفر بعزوفها عن إجراء الحوارات الصحفية، وليس هناك إلا عدد قليل منها، ولعل الحوار التالي يُعد أفضلها في تقديم صورة مقربة تكشف عن ملامح تجربتها الشعرية ورحلتها الإبداعية مع الكتابة، فضلا عن تعريجها على بعض مفاصل وتفاصيل حياتها المهمة التي تركت أثرًا في شعرها. نشر الحوار في موقع رابطة الكتاب وبرامج الكتابة AWP على الإنترنت، في سبتمبر 1994م. وقد حاورت أوليفر الشاعرة رينيه أولاندر التي تدرس الأدب والكتابة الإبداعية في جامعة أولد دومينيون، كما ورد في تذييل هذا الحوار الذي نقدم ترجمة غير كاملة له فيما يلي من الصفحات.

رينيه أولاندر: في مقابلة أخرى، نُشرت في بلومزبيري ريفيو، شرحتِ سبب قلة الحوارت التي أجريت معك. قلتِ إنك تعتقدين أن المحاورين غالبًا ما يطرحون الأسئلة غير المهمة، مثل لماذا يكتب الكاتب، ولماذا يختار هو أو تختار هي أسلوبًا بعينه أو موضوعًا بعينه من بين كل الاحتمالات الأخرى. ولكن المحاورة بعد كل ذلك لم تسألك هذه الأسئلة.

ماري أوليفر: حسن، ربما دفعتُ بها لأن تتردد، لأنني أظن أنهم أرادوا مقابلة يغلب عليها الطابع الشخصي، وأنا أحب الحديث عن العمل. ولكنها فوّتت النصيحة، أنت محقة تمامًا.

لأنني كنتُ أدرّسُ، فقد فكرت كثيرًا في عملية الكتابة مؤخرًا، محاولة رؤية ما ينفع أو ما يمكن أن ينفع. أحد الأشياء الأولى التي أقوم بها مع

الطلاب، على سبيل المثال، هو أن أطلب منهم كتابة جدول والمحافظة عليه طوال فترة عملهم معي. لأن عملية الكتابة غير مفهومة بشكل تام – فنحن لا نعرف ما الجزء الذي نوظفه في أنفسنا للكتابة، من أي جزء من أنفسنا تأتي الكتابة – فمن المهم تغذية الجزء الذي يمثل الكاتب فينا أيًا كان، وأن ندع هذا الجزء من أنفسنا يعرف أن الذات الواعية شريك يمكن الاعتماد عليه أثناء كتابة قصيدة ما. لذا فإن قلتَ، «انظري، أريد أن أفعل هذا، وسأبذل قصارى جهدي من الثامنة إلى التاسعة صباحًا خمسة أيام في الأسبوع»، فإن الجزء الأكثر خجلاً والأقل ظهورًا من أنفسنا سيسمع هذا ويقول، «حسن، سأكون هناك».

إن جاء الكاتب الواعي، من يدّعي القصيدة لنفسه، وجلس إلى الطاولة، فإن ذلك الجزء من أنفسنا الذي يمثل الكاتب – المتواضع جدًا، الخجول جدًا – سيأتي أيضًا إلى هناك، إلى الطاولة، راغبًا وقادرًا كما يُرجى للتصدي لكتابة القصيدة. هذا هو السبب الكامن وراء الانضباط. يقول الناس دائمًا، «يتوجب عليك أن تتحلى بالانضباط،» ولكنهم لا يشرحون لماذا. وفي حقيقة الأمر إن ذلك صحيح، وأعتقد أن ذلك هو سبب كونه صحيحًا.

لعديد من السنوات، عملت باستخدام الجدول – رغم أنه لم يكن جدولاً صارمًا بالضرورة، لأنني أكتب أكثر من فعلي لأي شيء آخر. كنت أعمل كل يوم. عملتُ في الصباح، كما لا زلت أفعل، لأن ساعات الصباح هي ساعات تيقظي. ولكن في حقيقة الأمر، وبعد سنوات كثيرة من الكتابة تصبح شخصًا مستغرقًا في الكلمات، وبذلك تتراجع أهمية الجدول. لديك كل هذه السنين وراءك، ويصبح من المستحيل تقريبًا ألا تبدأ بكتابة القصائد، أن تصوغ تجاربك الحياتية ومشاعرك في كلمات.

أولاندر: في نقاشك للعلاقة التي تربط الكاتب الواعي بالكاتب اللاواعي، تذكرينني باقتراح جانيت ماكنيو في «ماري أوليفر وتقليد شعر الطبيعة الرومانسي» من أن النساء، في قصائدهن، يمضين ذهابًا وإيابًا عبر حدود الوعي بشكل أكثر سهولة، أو بقدر أقل من القلق، مقارنة بالكثير من الرجال.

أوليفر: أعتقد أنها تتحدث على الأرجح عن الموضوع.

أولاندر: ذلك صحيح.

أوليفر: ولكنني أتحدث عن مكونات الشاعر، كل تلك الأجزاء التي ينبغي أن تتعاضد للمضي قدمًا – ولذلك فإنني أرى هذين الأمرين كشيئين منفصلين.

أولاندر: إنهما كذلك بالفعل. لكنهما يبدوان متماثلين – أن القصائد تأتي من تلك اللقاءات التي تتم بين حالات الوعي داخل الكاتب، وأن القصائد نفسها، في ما يخص موضوعاتها، تتقبل تلك اللقاءات.

أوليفر: أجل. ثمة حالة بعينها أسستها في عملي، وهو سؤال الجنس. حاولت جاهدة في كتابتي ألا أتحدث عن جنس بعينه. وقد فعلت ذلك متعمدة. هناك ربما أربع أو خمس قصائد تُقدم المتحدثة فيها بوصفها امرأة – ولا أكثر من ذلك – وهو أمر مدهش.

وعلى الرغم من ذلك، فالعديد من الناقدات الشابات، خاصة أولئك اللاتي يعملن من منطلق مبادئ نسوية يوجهن لي نقدًا من وجهة نظر نسوية، ولست قادرة دائمًا على التحلي بالصبر إزاء ذلك. لست أملك الجواب على ذلك، وأخمن أنك تصبحين هدفًا مشرعًا للنقد بمجرد النشر.

أولاندر: تتعرض ماكنيو لهذه المسألة، أيضًا – لقد وجهت النسويات لك نقدًا لأنك لم تكوني نسوية صريحة بما يكفي، وتمضي بعد ذلك لتقول إن قصائدك نسوية بشكل أساس من حيث منظورها، في العلاقة مع الطبيعة، في...

أوليفر: ولكن ذلك رأيها. إنه أمر تعتقد، من وجهة نظرها، أنه جيد، ولكنه من وجهة نظري ربما لا وجود له.

أولاندر: في الواقع، الشفافية الكونية التي يتمتع بها الصوت هي إحدى الجوانب التي طالما أعجبت بها في عملك؛ إنه يبدو محددًا جدًا وغير مرتبط بجنس بعينه في الوقت ذاته – روح صافية.

أوليفر: لم تكن لدي أي فكرة سوى أن العين/الأنا في القصيدة ينبغي ألا تكون لكاتب القصيدة بل لقارئها، وذلك كان المغزى؛ لست مهتمة أن أكون صوتًا ذكوريًا يتحدث أو صوتًا أنثويًا يتحدث – أو أي

شيء ينتمي إلى هذا العالم – إن الأمر يرتبط بإيماني العميق والدائم أن القراء يريدون قصائد تتحدث عن حياتهم، وليس عن حياة الشاعر. وهذا يأتي متجاوزًا كل تقاليد بلاث ولويل وسيكستون إلخ، والتي لا أجدها أعمالاً مشبعة. أقرُ بأنها متجاوزة تقنيًا وتستحق الإعجاب حتمًا، ولكنها لا تعطيني كثيرًا من المعلومات عن نفسي، ولست متأكدة من مدى مصداقيتها فيما يخص الذات التي تتحدث.

لذا فقد كانت هذه نقطة إحباط بالنسبة لي فيما يتعلق بالنقد عبر السنين. لقد وجدت ما قاله الناس عن عملي مثيرًا للاهتمام من الناحية التقنية، جيدًا أو سيئًا، ولكن ثمة فئة قليلة فقط من الناقدات النسويات يستطعن مقاومة النظر إلى عمل بعيدًا عن المنظور النسوي. تضعين مجموعة من الأقمار في قصيدتك، فتصبح دائرة أنثوية، سواء أكنت، ككاتبة، تقصدين أن تلصقي الجنس بها أم لا. ويمكن أن ينتج عن ذلك كثير من الأشياء المسلية.

أولاندر: ولكن لديك بكل تأكيد كثيرًا من الصور الأنثوية في قصائدك. «النوم في الغابة» تبدو ممثلة بالنسبة لي للتمثيل الأنثوي للأرض.

أوليفر: ولكن لا بد أن أرجع وأقول: ما الذي يجعلك تعتقدين أن الأرض رمز أنثوي؟ إن صورة أنثوية واحدة لا تجعلها منها كذلك.

أولاندر: ولكن القصيدة تبدأ، «ظننتُ أن الأرضَ قد تذكّرتني/لقد أخذتني مرةً أُخرى».

أوليفر: نعم، ولكنني سأقول أيضًا، «الشمس، هو...» إنني أستخدم الجنس ببساطة وهو الوسيلة التقليدية في اللغة الإنجليزية للإحالة إلى مثل هذه الكيانات الرمزية والميثلوجية. إننا نمنحها جنسًا حتى نتمكن من سرد حكاياتها – وهي حكايات مشتركة. ولكن، اسمعي، إنني أتلقى عديدًا من الرسائل من رجال، شعراء آخرين، وأغراب، ونقاد، ممن يستجيبون لأنها صورهم أيضًا، وليس لأنه تصور نسوي. والأمر يبدو نوعًا ما كما لو أن النسويات يقلن، «هذا ما أردت العثور عليه، لذا فإنني سأجده. انظروا! لقد وجدته!».

أولاندر: وربما على الأرجح أن كل ناقد أو قارئ سيجد في نص ما يتوقع أو يريد العثور عليه.

أوليفر: حسن، هناك الآن التقويضية، أيضًا. إنها تمنحك فسحة كاملة لتعثري على ما شئت. لذا فيمكن أن يحال بيني، في المطاف الأخير، وبين الغايات التي وضعتها نصب عيني. الأمر مضحك – أثناء كتابة القصيدة، يكون الجنس آخر ما أفكر فيه، أعني بالطريقة التي تقصدينها. في القصيدة، التي لا تكون في أغلب الأحيان سردية، بل تأثير محسوس، تكون وجهة النظر الأنثوية، وأحيانًا من وجهة النظر ذكورية، وأحيانًا وجهة النظر المجردة من هذين، أكثر ملاءمة للقصيدة. أعني أنني أستخدم ما هو مناسب. إنني أفكر بالقصيدة؛ واستخدم ما تحتاجه القصيدة.

أولاندر: فيما يخص عملية الكتابة لديك، قلتِ إنه يمكن أن تكوني أقل انضباطًا الآن.

أوليفر: أستطيع المواصلة دون فرض قيود انضباطية كبيرة تحيط بحياتي لأن حياتي ليست أكثر من قيامي بما أريد القيام به، وهو الكتابة. الشيء الوحيد الذي كان عليّ فعله هو إجراء تعديل على أوقاتي نوعًا ما مع المسؤوليات الجديدة التي تجيء الآن مع التدريس.

أولاندر: كيف تفعلين ذلك؟ هل تكتبين كثيرًا خلال الفصول الدراسية التي تعملين خلالها؟

أوليفر: أستيقظ في وقت أبكر! هذا هو جوابي طوال حياتي! إنهم متعاونون جدًا في (سويت بريار)، وهم يريدون ويتوقعون مني أن أواصل الكتابة. إنني أدرّس صفًا واحدًا وعددًا من الدراسات المستقلة في كل فصل – وليس أكثر من ذلك. كما أنني ألتقي أيضًا طلابًا آخرين ممن يكتبون – أعني، من لا أقوم بتدريسهم في الوقت الحالي. هذه هي المسؤوليات التي وافقتُ عليها. أكتب كل يوم، ربما ليس بقدر ما اعتدت من الوقت، لأن عليّ قراءة كثير من قصائدهم!

أولاندر: ما نسبة ما تقومين به من الكتابة في حالة الصمت، حين لا تكونين جالسة عند طاولة الكتابة أو مع الورق أمامك – أو هل تفعلين ذلك؟

أوليفر: لا أظن أنني أقوم بأي منها بصمت. لدي كراس أحمله معي طوال الوقت، وأبدأ في خربشة بضع كلمات. أحب ما قاله فلوبير عن ملاحظة الأشياء بدقة، وأعتقد أن واجبنا – وهي كلمة كئيبة – بوصفنا كتابًا تبدأ ليس مع عواطفنا، بل مع قوى الملاحظة، لذا فقد أحصل على بعض الكلمات التي تصف، رغم أنني لا أعرف حينها إلى أين ستتجه من هناك. عديد من قصائدي توظف مثل هذه الصيغة: أرى شيئًا، وبعد ذلك في القصيدة يسعى ذلك الشيء ليكون ذا بعد رمزي، وليس محض شيء عابر.

أولاندر: أتخيلك وأنت تتسلقين الصخور وتمشين عبر الغابات وتفعلين كل ما بدا لك مع كراس صغير تحملينه في جيبك.

أوليفر: أمتلك بالفعل كراسًا صغيرًا، وبروفينستاون هي المكان الذي أعيش فيه بصورة شخصية حقًا، وحيث أمشي كثيرًا. وحين تسير الأمور على ما يرام، فإن المشي لا يكون بوتيرة سريعة ولا تكون له غاية محددة؛ في نهاية المطاف أتوقف وأكتب. وهو ما أعده عملا ناجحًا!

ذات مرة كنت في الغابة ولم يكن معي قلم، لذا قمت لاحقًا بإخفاء أقلام رصاص في بعض الأشجار. هذا هو أول الأشياء – أن تمتلك عدة الكتابة! أستخدم الطريقة نفسها الآن. أذهب للمشي، ومن ثم أعمل من الكراسات. القصائد نفسها ستمر ربما بسبعين مسودة. قد تكونين محظوظة وتنتهين من شيء ما خلال أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع، ولكن من الأرجح أن تحتاجي إلى شهرين أو ثلاثة قبل الانتهاء من التعديلات الأخيرة.

أعمل في الغالب وحيدة. لم يحدث أن عملت أبدًا في ورشة عمل؛ لقد شببت عن الطوق قبل فترة طويلة من ذلك الوقت. ولا أعتقد بتاتًا أن ذلك ينطوي على كثير من المتعة – إنه لمن الصعب جدًا أن تقدم عملاً ليكون بمرأى الجميع حين تعلم في قرارة نفسك أنه لم ينضج بعد.

كما أن ثمة مسؤولية كبيرة في أن تدرّس وتقدم المساعدة دون التدخل. لدي بعض الطلاب الذين لا أخبرهم، أو أنني لم أعد أفعل ذلك، كيف يمكن إصلاح شيء ما، من وجهة نظري – وأكتفي بأن أخبرهم أن ثمة خطأً ما – وأترك لهم أن يختاروا الطريقة المناسبة

لحل المشكلة كما يرتأون. بعد الانتهاء من ورشة العمل، يفترض أن يمتلك الطلاب المعرفة والخيارات – على المرء أن يترك لهم فرصة حل مواطن الخلل في أعمالهم بطريقتهم الخاصة.

أولاندر: تبدو الموسيقى في شعرك محكمة، مما يدفعني للتساؤل حول القدر الذي تقرأين فيه مسوداتك بصوت مرتفع، وما إن كنت تقرأين قصائد الآخرين بصوت مرتفع – هل تحفظين الشعر؟

أوليفر: أعتقد أن الغرض من الشعر هو أن يُسمع وأنه يُسمع من قبل الأذن القارئة. قد لا أتلفظ بالكلمات، ولكنني في حقيقة الأمر أنتقيها فيما يتعلق بجرسها، بالإضافة إلى معناها، بالتأكيد.

حين أدرّس أبدأ بالأبجدية، أبدأ بسؤال: «ما الفرق ما بين الصخرة والحجر؟» أتحدث عن الحروف التي تُنطق بملءِ النَفَس، والحروف الصائتة غير المنطوقة، مستخدمة قصيدة فروست «متوقفًا عند الغابة في ليلة عاصفة.» مجرد النظر في اللغة لبرهة قصيرة يطلع الطلاب على مدى الفروق العظيمة في الصوت، كيف يغير الصوتُ النبرة، وثقل العبارة. يدرس الطلاب ويفكرون في هذا الأمر، في الصوت، ويكتبون بشكل أفضل. أعني، دون أن يضعوا بوعي صوتًا غنيًا في القصيدة، فإنه يظهر هناك. حين بدأت لأول مرة فعلتُ ذلك. فكرت في اللغة، بوعي، ووجدتُ نفسي أستخدمها بشكل أفضل، بشكل غير واعٍ.

أولاندر:إذن فإنك تصادفين مفاجآت في قصائدك؟

أوليفر: ذلك صحيح، وما قمتُ باستكشافه وجدته مفيدًا جدًا. أحيانًا، في قراءة ما، تكون هناك مقاطع بعينها يحلُّ فيها صمتٌ عميق على الجمهور، كان الأمر مدهشًا، وكنت أعود إلى المنزل بعد القراءة وأنظر في المقطع وأقول، «لماذا؟ ما الذي يحدث في هذا المقطع مما يشد الجمهور بهذه الصورة القوية؟» ويكون أن أجد شيئًا ذا علاقة بالصوت، وبالتركيب، عادة، بالإضافة إلى المعنى.

هذا أحد الأمثلة لما يمكن العثور عليه في (كراسة الشعر A Poetry Handbook)، وهو ما يمثل بصورة أو بأخرى نقاشًا منظمًا لأشياء وجدت أنها، عبر السنين، مفيدة، ومثيرة للاهتمام. بما في ذلك الصوت،

ولكن هناك الكثير أيضًا، بكل تأكيد - السطر، الانتقال إلى سطر آخر، اختيار المفردات، وما إلى ذلك.

أولاندر: هل كانت القصائد تقرأ لك عندما كنت طفلة؟

أوليفر: أفترض أن ذلك حدث حين كنتُ صغيرة جدًا. ولكن ما سحرني هو قراءة القصائد بنفسي وإدراك أن هناك كلمة بدون تمثيل مادي لها وأنها برغم ذلك كانت حية شأنها شأن أي كلمة أخرى - عالم الخيال- الذي يمكن للمرء أن يذهب إليه، ويبقى فيه. وبعد ذلك، كما نفعل، أردتُ أن أكتب قصيدة. كنتُ فتاة جادة في الثالثة عشرة من عمري وكنتُ أريد الكتابة. ولكنني لا أظن أن ذلك كان نضجًا مبكرًا، بل محض عناد. قمت بكثير من الأشياء، أيضًا.

أولاندر: هل حظيت بتشجيع إيجابي في تلك السن لقصائدك؟

أوليفر: أفترض أن ذلك حصل. سأخبرك بشيء ما بهذا الخصوص. كنت في الثالثة عشرة - وهذا يعني أننا نتحدث عن أكثر من أربعين عامًا مضت. ليس بغرض التقليل من شأن الأشياء الجيدة في حياتي، ولكنني لا أتحدث عن طفولتي لأنه الوقت الذي نحظى فيه جميعًا بموضوع جديد.

أولاندر: اكتشفتُ أنني حين أقدم نفس القصائد إلى مجموعات من تلاميذ المرحلتين الابتدائية والمتوسطة كما أقدمها إلى طلاب الجامعة الذين أدرسهم، أن التلاميذ الأصغر سنًا غالبًا ما يتفاعلون بشكل أكثر حيوية، وبصورة أكثر شجاعة، مقارنة بالطلاب الجامعيين.

أوليفر: المشكلة هي أنه كلما كبر المرء في السن، كلما أصبح أكثر ميلا للدفاع عن ذاته وعن استجابته. عملتُ لمدة أسبوع منذ سنوات في إحدى المدارس - فصول تبدأ من الروضة فصاعدًا - وكان الصغار يأتون ويجلسون حولي ويتحركون مثل العشب في الريح، عيونهم واسعة، يستمعون - كانوا يحبون هذه التجربة. ومع المضي صعودًا في الصفوف، أصبح الطلاب أكثر انغلاقًا على أنفسهم. في الصف السادس كان التواصل بالعينين ما يزال موجودًا. أما فصول المرحلة الثانوية فكانت تطغى عليها الوجوه الصغيرة المتخشبة - كان من الممكن أن يكونوا على خطأ، ولكنهم آثروا ألا يظهروا شيئًا. ومع ذلك، عليك أن

تلقي بالقصيدة، السطور، مثل أوراق صغيرة من النار، ولا بد أن يمسك أحد ما بشيء ما ويمضي إلى المنزل، حيث لا يراه أحد، ويستشعر البهجة.

أولاندر: هل تعتقدين أننا جميعًا نمتلك الشاعر داخلنا؟

أوليفر: نعم. القصيدة لا تنتهي بالنسبة لي حتى تُقرأ. من المهم أن تصل إلى القراء، أن يدرك الناس الشاعر بالإضافة إلى القصيدة في دخيلة أنفسهم. ليس من المهم من كتبها ومن يقرؤها، ما دامت تنجز الرحلة كاملة.

أولاندر: فيما يتعلق بمساعدة الطلاب في كتابة القصائد – ما الذي تفعلينه؟ في لقائك مع بلومزبيري ريفيو أحلتِ إلى إعطاء تدريبات.

أوليفر: إنني أعطي التدريبات لسببين. الأول، حتى يتدرب الطلاب على أيّما تقنية نتحدث عنها – إن فهمك لتقنية ما شيءٌ وتطبيقك إياها شيءٌ آخر. إضافة إلى ذلك، أرى أن التدريبات تساعد في تلاحم الصف – فالطلاب يهتمون دائمًا بما يقوم به كلُّ واحد منهم، حين يكون على كلِّ واحد منهم أن يقوم بالشيء نفسه.

أولاندر: هل ترين أن طلابك قد قرأوا الكثير من الشعر؟ هل تحددين لهم قصائد بعينها للقراءة؟

أوليفر: إنني أحدد لهم قصائد لقراءتها، ولكنني لا أحصرها بشاعر بعينه. أفضل أن أعطيهم نماذج لتقنيات مختلفة نناقشها. تتفاوت أذواقهم بشكل كبير وهم يظهرون قدرًا من المقاومة، ليس للقراءة بل للقراءة بتأنٍ، وللحفظ، وللقراءة ككتاب. وهو ما يخبرك تقريبًا بالفارق بين من قد يصبحون كتابًا وبين من لن يصبحوا كذلك. فأولئك الذين قد يصبحون كتابًا يرغبون بالمزيد دائمًا، أما من لن يصبحوا كتابًا فهم يستعجلون الانتهاء من الأمر بأسرع ما يمكن.

أولاندر: ما الذي تقرأينه – ما نسبة الشعر المعاصر، العلوم، الرواية؟

أوليفر: أقرأ شيئًا من الكتابات العلمية. اقتنيت كتاب جيمس غليك (الفوضى) مؤخرًا – وهو سيكون صعبًا. كما أنني انتهيت للتو من قراءة

كتابين لفرجينيا وولف - بالطبع ليس للمرة الأولى! قرأت (السيدة دالوي) حين كنت في رحلة جوية طويلة، وبعد ذلك، ويا للعجب! كنت في رحلة جوية أخرى، وأخذت معي (إلى المنارة).

أولاندر: هذا كتاب عظيم!

أوليفر: إنه أعجوبة. لقد سبق لي أن قرأته، وأنا أحب العودة إلى كتب مثل هذه. لستُ متحيزة لكتب السيرة، لكنني عثرت على كتاب - اضطررتُ لتقطيع صفحات هذه النسخة مع تقدمي في القراءة - كتاب رائع، في متجر كتب مستعملة، من تأليف رجل يدعى هوراس تروبل. كان يزور ويتمان مرتين يوميًا في كامدن - أعني، في العاشرة صباحًا وفي السابعة مساء كان يزور ويتمان، إنه مدهش بكل معنى الكلمة.

كثيرًا ما أقرأ الشعر حيث يرسل لي الناس الكتب أو أن شخصًا ما تعجبني كتابته يكون قد طبع كتابًا جديدًا. ثمة أسباب كثيرة تأخذني إلى كتب بعينها بالطبع. فأنا أطالع كمية معقولة من الأعمال بوصفي محكّمة في لجنة تحكيم، على سبيل المثال.

أولاندر: ما كتب الشعر المفضلة التي تعودين إليها؟

أوليفر: ويتمان، بكل تأكيد. الكثير من ويتمان، والكثير من بليك. كما أنني قرأت هذا العام رسائل كيتس الكاملة، وبعد ذلك قرأت سيرة آمي لويل - قرأت الوارد Ward من قبل - وهذا بالطبع أعادني إلى أعمال كيتس، التي قرأتها بكل تأكيد بوتيرة متكررة على أي حال. ولكن هؤلاء دائمًا: كيتس، وبليك، وويتمان. مرارًا وتكرارًا.

أولاندر: من بين كتبك أنتِ، هل لديك كتاب مفضل؟

أوليفر: أحبُّ ما أقوم به الآن. أعتقد أن ***منزل الضوء*** *House of Light* بدا جيدًا. أشعر بالسعادة حين تتاح لي فرصة القراءة من ذاك الكتاب. لكن - ثمة شيء لطيف حدث: لم يسبق لي أن كتبت قصيدة نثر قط، ولكن بعد الكثير من التركيز على السطر الشعري وموسيقى السطر الشعري، كنتُ أدرّس، كتدريب أخير في ورش العمل، كتابة قصيدة النثر - حينها قلتُ، «حسنٌ، لم يسبق لي أن كتبت قصيدة نثر

أبدًا!» ومن هنا بدأت. عدد قليل منها نُشر. كتاب «*شجرة الصنوبر البيضاء- White Pine* » سيحمل عنوانًا فرعيًا هو *قصائد وقصائد نثر*.

أولاندر: ما رأيك فيما قاله لويس توركو من أن القصائد التي تفتقر إلى الوزن هي في حقيقة الأمر قصائد نثر – وأن «الشعر الحر» تسمية خاطئة؟

أوليفر: ليست هناك على وجه التقريب نقاشات جيدة أو مفيدة أو حكيمة فيما يخص وظيفة التصميم في الشعر الحر – وهو ما يعتمد بشكل أساس على نية وبناء السطر والانتقال إلى سطر آخر. لماذا تنتقل إلى سطر آخر في الموضع الذي تفعل فيه ذلك؟ ما هي التأثيرات المختلفة الناتجة عن الطريقة التي انتقلت فيها؟ ما الذي يمكن أن يحدث إن انتقلت بالسطر في هذه الجهة أو في تلك الجهة؟ إن الفهم المتأني لعروض الشعر في قصيدة الشعر الحر ما زال لم يتحقق حتى الآن – وإلى أن يحدث ذلك، سيستمر النظر إلى الشعر الحر باعتباره شكلاً يفتقر إلى الوزن أكثر من كونه يتمتع بتصميمه المركّب.

أولاندر: أتخيل أنك محبة للموسيقى.

أوليفر: أوه، أجل. إنني مولعة جدًا بشومان وشوبرت وبرامز وماهلر. وخلال الأعوام القليلة الماضية، فضلتُ موسيقى الغرفة على الأوركسترا الكاملة. وعلى الدوام، بالطبع، الصوت الإنساني، والأغنية والأوبرا.

أولاندر: هل لنا أن ننتقل إلى الأسئلة الكبرى: ما الذي تحلمين بكتابته؟ ولماذا تكتبين؟

أوليفر: لست واثقة من أنه يمكن الإجابة عليها. بالتأكيد، أنا الآن مسحورة أكثر من ذي قبل بما يمكن للغة أن تفعله. ولا يسعني أن أصبر لأجرب شيئًا جديدًا، طوال الوقت. إنني أقل مرونة الآن مما كنت عليه قبل خمسة وعشرين عامًا، ولكن رغبتي لا تزال كما هي. أعتقد أنني أصبحت أكثر ميلاً للابتكار مما كنت؛ يحتاج الكاتب إلى وقت طويل ليتجاوز مرحلة التقليد المهمة والمثابرة والصادقة.

لذا، فإنني أقوم بجزء منها لأنني أحبُّ فعل ذلك. كما أنني أقوم بها الآن لأنني أستطيع القيام بها. أعني، ماذا لو أنني استيقظت غدًا وقررتُ

أن أصبح موسيقية؟ ليس لديّ القدرة للعودة إلى الوراء وتعلّمِ فعل شيء جديد الآن؛ لست أملك الصبر ولا والوقت ولا الاستعداد. لقد خلقت لأكتب.

أما بخصوص ماذا أو لماذا أكتب، فإنني أعتقد أن الفن مهم في حياتنا – لحياة متحضرة ومتوجة بالعقل.

أولاندر: ليست الطبقة التي تغطي الكعة بل الكعكة.

أوليفر: نعم، نستطيع أن نعيش بدونه، ولكن ليس بشكل جيد. كما أن بإمكانه أن يحدث فارقًا واضحًا في حياة شخص ما. قصيدة ريلكه، القصيدة التي تنتهي بـ«ينبغي أن تغير حياتك» هذا هو جوهر كل قصيدة.

أولاندر: كثير من قصائدك تشير مباشرة إلى القارئ، وتخبره شيئًا ما عن كيف يعيش. لأنني قرأت أولاً، قبل سنوات، «النوم في الغابة»، و«بلح البحر»، ومن ثم انطلقتُ لأعثر على كتبك .

أوليفر: لا بد أنك كنت تقرأين كتاب «بلاي *أخبار عن الكون- News of the Universe*.»

أولاندر: أجل، وما رأيك في ذلك الكتاب، وتصنيفك فيه؟

أوليفر: أعجبني كثيرًا. أحب بلاي كثيرًا. قال أحدهم، «اقرأي كل شيء يقوله، اطرحي 70% مما يقوله، وسوف تحصلين على ذهب خالص.» والمقصود أن حماسه أحيانًا يعمّي على الذهب، ولكنه هناك.

أولاندر: السنة التي جاء فيها إلى المهرجان الأدبي التابع لجامعة أولد دومينيون شارك بقراءة ارتدى خلالها أقنعة وسرد أساطير قديمة بالإضافة إلى القصائد – إنه مؤدٍّ بارع. سمعته يقرأها مرتين، وهو يميل لتكرار القصائد خلال القراءة، وعلى وجه الخصوص القصائد القصيرة التي تنتهي سريعًا؛ ونادرًا ما حضرت قراءة يفعل فيها أحد الشعراء ذلك، وأظن أن ذلك، بسبب الإيجاز، فكرة جيدة – إن المستمعين يقدرون التكرار حقًا. هل سبق لك فعل ذلك؟

أوليفر: فكرت في الأمر. يومًا ما أودُّ أن أقدم قراءة لنفس القصائد

الست مرارًا وتكرارًا. كنت أحضر حفلة موسيقية قبل أسبوعين وكان أحد أعضاء هيئة التدريس في سويت بريار – آلن هوزتي، من كلية الموسيقى – قد غنى مثل ملاك وقد صفق الجمهور مطالبًا بالإعادة فغنّى إحدى الأغنيات التي كان قد غنّاها في البرنامج، وكان ذلك ذكاء منه – أن يدعنا نسمعها مرة أخرى، وكان من الجميل جدًا أن نسمعها مرة ثانية.

أولاندر: تتسم قصائدك ببعد روحي عميق، حيث أنها تُشْرِبُ ما حولنا بمختلف أنماط الوعي، وهو ما يتعارض مع معظم ما نقرأ وما ندرسه.

أوليفر: ربما هذا هو سبب إعجابي الكبير بكتاب روبرت بلاي. الطريقة التي يقول فيها، هذا هو فحوى الأمر: الوعي ليس مقتصرًا على البشر. لا أعتقد شخصيًا أن الوعي أمر مقتصر على البشر! هناك ثيمة أعود إليها مرارًا وتكرارًا وهي وعي وحالة وكلانية الكائنات الأخرى في هذا العالم، ناهيك عن الأخشاب والحجارة والماء.

هناك مشكلة حاولتُ الكتابة عنها في الكراس – كثير من الناس الآن أصبحوا أكثر ألفة مع المدن، ومع الحواضر السكانية – ورغم ذلك، فإن عالم الطبيعة هو المستودع العظيم للغتنا المجازية. وسوف يظل الأمر على ما هو عليه – على تلك المجازات أن تتضمن تجارب محسوسة – أعني التجارب المحسوسة مع العالم الطبيعي. يقول روميو، «إنه الشرق، وجولييت هي الشمس،» وإذا لم يحدث أن استيقظت في الفجر في الريف المتوهج، فإنك لن تدرك مغزى ذلك. وهذا أمر يقاومه الطلاب نوعًا ما. لأن عليهم أن يذهبوا إلى الخارج ويفعلوه – وهذا جزء آخر من العمل.

هل تعرفين قصة فلوبير والعمل خلال إجازة نهاية الأسبوع؟ ربما تكون مشكوكًا في أمرها، ولكن...زاره أصدقاؤه وقالوا له، «تعال معنا، إننا ذاهبون إلى إيطاليا خلال إجازة نهاية الأسبوع، سنمضي وقتًا ممتعًا.» فقال لهم فلوبير، «لا أستطيع، لدي عمل أنجزه، لدي الكثير مما أقوم به خلال إجازة نهاية الأسبوع.» حاول الأصدقاء إقناعه، ولكنه أصر على أن لديه ما يعمله، وطلب منهم أن يخبروه عن رحلتهم فور

عودتهم. وهو ما فعلوه، ذهبوا إلى إيطاليا وعادوا وقالوا، «أمضينا وقتًا ممتعًا؛ نتمنى أنك قد أنجزت الكثير من العمل الذي يبرر تفويتك لهذه المتعة.» **فقال فلوبير**، «بالطبع، لقد عملتُ بجِدٍّحقًّا. أنا سعيد لأنني بقيت وعملت. يوم السبت حذفتُ فاصلة منقوطة. ويوم الأحد، أرجعتها».

هذه هي الآلية. هكذا تحدث. بطيئة ورائعة هكذا. أنا واثقة من أن فلوبير أحس بالرضا. فبوسع المرء أن يذهب إلى إيطاليا في أي وقت.

من

سعادة

2015

أستيقظ قبيل الصباح

لماذا يصرُّ الناسُ على رؤيةِ

الأوراقِ الثبوتيةِ للهِ

حين تكون العتمةُ المنفرجةُ عن الصباحِ

أكثرَ من كافيةٍ؟

ما من شك في أن أيَّ إلهٍ قد يديرُ رأسه في اشمئزازٍ.

فكروا في (شيبا) وهي تتقدمُ نحو

مملكة سليمان.

هل تظنون أنه كان عليها أن تسألَ،

«هل هذا هو المكان؟»

هذا الصباح

هذا الصباح فقسَ بيضُ الطيور الحمراء

وهاهي ذي الصيصانُ تسقسقُ طلبًا للطعام.

هي لا تعرفُ من أين يأتي، فتستمرُ في

الصراخ، «المزيدَ! المزيدَ!»

وكما هو الأمر مع أي شيء آخر، ليس لديها

أدنى فكرةٍ. عيونها

لم تتفتح بعدُ، وهي لا تعرف شيئًا

عن السماءِ التي تنتظرُ. أو

آلاف، وملايين الأشجار.

بل إنها لا تعرف أن لها أجنحةً.

وهكذا، مثل حدثٍ بسيطٍ يقعُ

في الحيّ، ثمة معجزةٌ

تتشكّل.

العالم الذي أعيشُ فيه

لقد رفضتُ أن أحيا

حبيسةً في البيتِ المنظمِ المكوّنِ

من الأسباب والإثباتات.

العالمُ الذي أعيشُ فيه وأؤمن به

أكثرُ اتساعًا من ذلك. وعلى أي حالٍ،

ما الخطأ في *ربما*؟

لن تصدق ما رأيتُه مرةً

أو مرتين. سأكتفي بإخبارك

بهذا الأمر:

ليس من المحتمل أن ترى ملاكًا

ما لم يكن رأسك مسكونًا بالملائكة.

البجعات ذات الصفير

هل تحني رأسك حين تصلي أم هل تنظرُ إلى الأعلى

نحو ذاك الفضاء الأزرق؟

اخترْ ما شئتَ، فالصلواتُ تأتي من كل الجهات.

ولا تقلقْ بشأن اللغةِ التي تستخدمها،

فالله بلا شك يفهمها جميعًا.

حتى حين تحلّق البجعاتُ صوبَ الشمالِ مصدرةً

صوت ضجيجها المرتفع، فالله بكل تأكيد يستمعُ

ويفهم.

قال الرومي، ليس ثمة دليلٌ على وجودِ الروح.

ولكن أليس في عودةِ الربيعِ وكيف

ينبثقُ في قلوبنا ما يكفي من الإشارة؟

أجلْ، أعرفُ أن صمتَ الله مطلقٌ، ولكن هل

يمثّل ذاك مشكلة حقًا؟

هناك آلافُ الأصواتِ، بعد كل شيء.

وفضلًا عن ذلك، ألا تتخيل (أقترحُ ذلك فحسب)

أن البجعاتِ تمتلكُ القدرَ نفسه من المعرفةِ التي نمتلكها

حول الأمر برمته؟

لذا فاستمع إليها وشاهدها، وهي تغني محلقةً.

وخذْ عنها ما تستطيعه.

مستودع

حين انتقلتُ من منزلٍ إلى آخرَ

كان هناك عديدٌ من الأشياءِ التي لا مكانَ لها.

ما الذي على المرءِ فعلُه؟ استأجرتُ مستودعًا. وملأته بها.
ومرّتْ السنوات.

وبين الحين والآخر كنتُ أذهبُ إلى هناك لأرى ما فيه،

ولكن لم يحدث شيءٌ، لم أشعر بوخزةٍ

واحدةٍ في القلب.

ومع تقدمي في السنِّ تضاءل عددُ

الأشياءِ التي تعني لي شيئًا، ولكنها اكتسبت قدرًا

أكبرَ من الأهمية. لذا في أحد الايام فتحتُ القفلَ

واستعنتُ بجامع القمامة الذي أخذ

كلَّ شيءٍ.

شعرتُ بشعور الحمار الصغير حين

أزيل عنه عبئه في نهاية المطاف. الأشياء!

احرقها، احرقها! اصنع نارًا

جميلةً! ثمة متسعٌ في قلبك للحبِّ،

للأشجارِ! للطيورِ التي لا تمتلكُ

شيئًا – وفي ذلك يكمن سر قدرتها على الطيران.

إلى توم شو س.س.ج. إي

(2014-1945)

من أين يجيءُ هذا البردُ؟

«إنه يجيءُ من موتِ صديقك».

هل سأشعرُ بالبردِ دائمًا، من الآن فصاعدًا؟

«لا، سوف يضمحلُّ. ولكنه سيظلُّ

معك دائمًا».

ما سبُبُه؟

«ألم تكن صداقتكما جميلةً على الدوامِ

كاللهب؟»

أعرفُ شخصًا ما

أعرفُ شخصًا ما يقبّلُ كما

تتفتّحُ زهرةٌ، ولكن بصورةٍ أسرع.

الأزهارُ عذبةٌ. حياتها قصيرةٌ وجميلةٌ. وهي تهبُ

الكثيرَ من المتعةِ. وليس ثمة في العالمِ

ما يمكن قولُهُ ضدها.

وكم هو من المحزن، أليس كذلك، أن كلَّ ما تستطيعُ تقبيلَهُ

هو الهواءُ.

بلى، بلى! نحن هُمُ المحظوظون.

الوحش الصغير

الوحشُ الصغيرُ الجميلُ، القصيدةُ،

تمتلك عقلها الخاص بها.

أحيانًا أريدها أن تشتهي التفاحَ

ولكنها تريد اللحمَ.

أحيانًا أريدُ أن أمشي بسلامٍ

على الشاطئ

وتريدُ هي أن تخلع كلَّ ملابسها

وتسبحَ في البحر.

أحيانًا أريدُ أن أستخدمَ كلماتٍ صغيرةً

وأضفي عليها أهميةً

فتبدأ بالصراخِ القاموسَ،

الفرصَ السانحة.

أحيانًا أرغبُ في أن أختمَ حديثي وأقدم شكري،

واضعةً الأمورَ في نصابها

فتبدأ هي في الرقصِ في أرجاء الغرفةِ

على أطرافها الأربعة، ضاحكةً

واصفةً إيايَ بالشائنة.

ولكنها أحيانًا، حين أفكرُ فيك،

وبلا شكٍ أبتسمُ،

فإنها تجلسُ بهدوءٍ، باسطة إحدى يديها تحت ذقنها،

مكتفيةً بالاستماع.

النبع

إنه أغسطس صيفٍ آخرَ، ومرةً أخرى

أنا أحتسي الشمسَ

والزنابقُ تمتدُّ مرةً أخرى عبْرَ الماءِ.

أعرفُ الآن أن ما تريدَه هو أن يمسَّ بعضُها بعضًا.

لم آتِ إلى هنا منذ سنوات عدة مضتْ

واصلتُ خلالها حياتي.

مثل البلشون، الذي لا يستطيع سوى النعيبِ، والذي يتمنّى

لو يستطيعُ الغناءَ،

أتمنى لو استطعتُ الغناءَ.

قدرٌ قليلٌ من الشكرِ من كلِّ حنجرةٍ سيكون مناسبًا.

هكذا كان الأمرُ، وهكذا هو كائنٌ:

طوال حياتي كنتُ قادرةً على الإحساس بالسعادة،

فيما عدا ما لم يكن ذا صلةٍ بالسعادةِ،

وهو ما أتذكره أيضًا.

كلٌّ منا يرتدي ظلاً.

ولكنه الصيفَ الآن مرة أخرى

وأنا أراقبُ الزنابقَ وهي تنحني لبعضها بعضًا،

ثم تنزلقُ على الريحِ وعلى زورقِ الرغبةِ،

قريبةً، قريبةً من بعضها بعضًا.

والآن عاجلاً ما سأعودُ أدراجي صوب المنزل.

ومن يدري، لربما سأكون منهمكةً في الغناء.

الهدية

فلتكوني هادئةً، يا روحيَ، واثبتي.

الأرضُ والسماءُ كلاهما ما يزالان يراقبانِ

رغمَ أن الزمنَ يتصرّمُ من الساعةِ

ومشيتكِ، التي كانت واثقةً وسريعةً،

أصبحتْ بطيئة.

لذا، كوني بطيئةً إذا ما تعيّن عليك ذلك، ولكن دعي

للقلبِ أن يواصل أداءَ دوره الحقيقي.

استمري في الحبِّ كما أحببتِ من قبلُ، بعمقٍ

ودونما صبرٍ. دعي اللهَ والعالمَ

يعرفانِ أنكِ تشعرين بالامتنان.

أن الهديةَ قد بلغتْ غايتها.

من

خيول زرقاء

2014

بعد قراءة لوكريشس، أمضي إلى النبع

الضفدعُ الأخضرُ الزلقُ

الذي ذهبَ إلى حتفه

في حنجرةِ مالك الحزين الورديةِ

كان أخي الصغير،

ومالكُ الحزينُ

بريشاتهِ البيضاءِ

مثل تاجٍ فوق رأسهِ

من يغسلُ الآن منقاره الأشبهَ بالسيفِ

في النبعِ المتلألئ

هو أخي الطويلُ النحيفُ.

قلبي يتشحُ بالسوادِ

ويرقصُ.

جلال الدين الرومي

حين دلفَ جلال الدين الرومي إلى الحانةِ

تبعتُهُ.

سمعتُ الكثيرَ من الكلماتِ الحمقاءِ

والكثيرَ من الكلماتِ الحكيمةِ.

ولكنَّ الورودَ لم تنمُ في شعري.

حين غادرَ جلالُ الدين الحانةَ

تبعتُهُ.

لم يكن قصديَ التطفلَ المحضَ

على شخصٍ مشهورٍ مثله.

وفي حقيقةِ الأمرِ كان يبدو مضحكًا بلحيته

الطويلةِ وقدميه المغبرّتين.

ولكن ما كان يتناهى إلى سمعي من الكلماتِ الحمقاءِ

كان أقلَّ من الكلماتِ الحكيمةِ

وكان يحدوني ما يكفي من الأملِ لأن أستمرَّ في الاستماعِ

إلى أن يجيءَ اليومُ الذي أرى فيه نفسي

وقد تحوّلتُ إلى حديقةٍ تعجُّ بالورود.

ملائكة

قد ترى الملائكةَ في أيِّ وقتٍ

وفي أي مكانٍ. يتوجبُ عليكَ

بالطبع أن تفتحَ عينيك فيما يشبه

البعدَ الآخرَ، ولكنّ ذلك ليس بالأمرِ

الصعبِ. فتحديدُ ما هو حقيقيٌّ وما هو

بخلاف ذلك لم يُقطع فيه برأي جازمٍ أبدًا

والأرجحُ ألا يحدثَ ذلك. لذا لا يهمني كثيرًا

أن أكونَ دقيقةً جدًا حول أيِّ أمرٍ من الأمور.

لديَّ الكثيرُ من الزوايا الحادّةُ التي تُسمى (ربما)

ولا شيء تقريبًا يمكنك أن تسمّيه

(اليقينَ). بالنسبة لي، ولكن ليس

بالنسبة للآخرين. ذاك مكانٌ

لا تستطيعُ أن تدخلَ إليه، ليسَ

بشكلٍّ تامٍّ على أي حالٍ، أعني عقولَ

الآخرين.

سأتركك مع هذه الرسالةِ.

لستُ آبه كم من الملائكةِ يستطيعون

الرقصَ على رأس دبوسٍ. يكفي

أن أعرفَ أنها بالنسبة للبعض

موجودةٌ، وأنها ترقص.

لو أنني أردتُ امتلاك قارب

لو أنني أردتُ امتلاك قاربٍ، لرغبتُ أن

يكون قاربًا يتقافزُ بقوةٍ على الموجِ،

ألا يعرفَ الميمنةَ من الميسرةِ

وألا تكونَ لديه الرغبةُ في ذلك، أن يرحبَ بالدلافين ويتّجه مباشرةً

صوبَ الحيتانِ، وحين تكونُ الصخورُ قريبةً،

ينزلقُ عليها للمسةٍ أو لمستين،

ألا تظلَّ اليابسةُ على مرأىً منه ويمضي

سريعًا، أن يتقافزَ في الرذاذ.

أيُّ حياةٍ هذه التي تخططُ فيها وتنفِّذُ،

وتعدُ وتفي بما وعدتَ به، وتتمنى ما هو قريبٌ منك وآمنٌ؟

أجلْ، بحقِ السماواتِ، لو أنني أردتُ امتلاكَ قاربٍ فسأرغبُ

في قاربٍ لا أستطيعُ إدارةَ دفته.

أنا لست النهر

أنا لستُ النهرَ
ذلك الحضورُ المفعمُ بالقوةِ.
ولستُ شجرةَ البلوطِ السوداءَ
التي هي الصبرُ متجسدًا.
ولستُ الطائرَ الأحمرَ
الذي هو الحياةُ الوجيزةُ المعاشةُ حتى الثمالةِ.
ولستُ الطينَ ولا الصخرةَ ولا الرملَ
الذي يحفظُ تماسك الأشياءِ كلها.
كلّا، لستُ أحدَ هذه الأشياءِ المفعمةِ بالمعنى، ليس بعد.

خيول فرانز مارك الزرقاء

أدلفُ إلى لوحةِ الخيولِ الأربعةِ الزرقاء.
لستُ متفاجئةً بقدرتي على فعل ذلك.

أحدُ الخيولِ يمشي باتجاهي.
أنفه الأزرقُ يمسّني بلطفٍ. أضعُ ذراعي
فوق عُرْفِهِ الأزرق، دون أن أتشبثَ به، مكتفية
بالامتزاج معه.
وهي متعةٌ يتيحُ لي أن أحظى بها.
مات فرانز مارك شابًا، حين أصابته شظيةٌ
في رأسه.
أفضِّلُ أن أموتَ على أن أشرحَ للخيولِ الزرقاءِ
ماهيّةَ الحرب.
فإما إنها ستفقدُ وعيَها من الرعبِ، أو ستجدُ من الصعوبةِ
تصديقَ ذلك.
لا أعرفُ كيف أشكركَ، يا فرانز مارك.
ربما سيصبحُ عالمُنا أكثرَ لطفًا في نهايةِ المطاف.
ربما كانتِ الرغبةُ في صنعِ شيءٍ جميلٍ هي
الجزءُ الإلهيُّ داخل كلٍّ منا.
الآن دنتِ الخيولُ الأربعةُ كلُّها من بعضها بعضًا،
حانيةً وجوهها صوبي
كما لو أن لديها أسرارًا تودُّ إفشاءَها.

لا أتوقعُ منها أن تتكلمَ، وهي لا تفعلُ ذلك.
إن لم يكن جمالُها المبهرُ كافيًا، فما الذي
بوسعها أن تقوله؟

لا أريدُ أن أكون رزينة أو موقّرة

لا أريدُ أن أكونَ رزينةً أو موقّرةً

كنتُ على هذه الشاكلةِ، نائمةً، لسنواتٍ.

بهذه الطريقةِ، تنسى كثيرًا من الأشياءِ المهمةِ.

كيف أن الأحجارَ الصغيرةَ، حتى لو لم تستطع الاستماعَ إليها،

تغنّي.

كيف أن النهرَ لا يستطيعُ الانتظارَ حتى يبلغَ المحيطَ والسماءَ،

كانت هناكَ من قبلُ.

أيُّ سفرٍ هو هذا!

لكم هو ممتعٌ تخيُّلُ مثلَ تلك المسافات.

بوسعيَ ألا أنامَ لمائة عامٍ قادمةٍ.

ثمة نارٌ تشتعلُ في رموشِ عينيَّ.

ليس من المهمِّ أين أكونُ، قد تكونُ غرفةً صغيرةً.

لمعةُ المنشارِ المذهبِّ فوق أصيصِ المطبخِ

لم يلحظها أحدٌ في المنزلِ سواي.

ربما كانت النارُ في رموشيَ انعكاسًا لذلك.

لماذا تراودني أفكارٌ كثيرةٌ، فهي تدفعُ بي للجنون.

لماذا أذهبُ دائمًا إلى أيّ مكانٍ، بدلًا من مكانٍ ما؟

استمعْ إليّ أو لا تفعل، فالأمرُ لا يكادُ يهمُّ.

إنني لا أحاولُ الظهورَ بمظهر الحكيمة، فذلك ضربٌ من الحماقةِ.

إنني أثرثرُ فحسب.

عن التأمل، نوعًا ما

التأمل، كما سمعتُ، يحدثُ بشكلٍ أفضلَ

إذا ما مكثتَ في وضعيةٍ ثابتةٍ.

بصراحة، أفضِّلُ أن أسترخي تحتَ إحدى الأشجارِ.

لذا لمَ عليّ التفكيرُ أنه بإمكاني تحقيقَ النجاح؟

بعض الأيامِ أنامُ، أو أهبطُ

في ذلك المكان الأفضل – نصفَ نائمةٍ – حيثُ العالمُ

الربيعُ، الصيفُ، الخريفُ، الشتاءُ –

يحلّقُ عبر دماغي في علوّهِ الجسورِ

ونزولهِ العنيد.

لذا فإنني أحبُّ هذا الأمرَ فحسبُ، في حين تكشفُ المسافةُ والزمنُ

عن موقفهما الحقيقيين: فهما لم يسمعا بي،

ولن يسمعا بي، ولن يكونا بحاجة لذلك قط.

بطبيعة الحالِ أستيقظُ في نهايةِ المطافِ

وأنا أفكرُ، كم من الرائع أنا أكونَ أنا أنا،

مجبولةً من الترابِ والماءِ،

أفكاري الخاصةُ بي، بصماتي الخاصةُ بي.

كلُّ تلك الأشياءِ العابرةِ الرائعة.

الوحدة

أنا أيضًا عرفتُ الوحدة.

أنا أيضًا عرفتُ ما يعنيه الإحساسُ

بأن يُساءَ فهمي،

وأُرفض، وأن أكونَ على حين غرةٍ

غيرَ جميلةٍ.

أوه، يا أمي الأرضُ،

إن عزاءك عظيمٌ، ويداك ما برحتا مبسوطتين.

ولكم أنقذ حياتي معرفتي بهذا الأمر.

أنهارك تتدفقُ، ووردك تتفتحُ في الصباح.

أوه، يا إيماءات الحنان!

هل تحسُّ الأحجار؟

هل تحسُّ الأحجارُ؟

هل تحبُّ حياتها؟

أم أن صبرها قد أغرقَ كل ما عداها؟

حين أمشي على الشاطئ أجمعُ بضعةَ أحجارٍ

بيضاءَ، وأحجارًا داكنةً، وأخرى ذات ألوانٍ متعددة.

لا تقلقي، أقول لها، سأعيدكِ، وأعيدها بالفعل.

هل الشجرةُ وهي ترتفعُ نشوى بأغصانها العديدة،

وكلُّ واحدٍ منها مثل قصيدة؟

هل الغيومُ مبتهجةٌ لإطلاقها سراحَ

أمطارها؟

معظمُ العالمِ سيقولون لا، لا، ليس ذلك ممكنًا.

أرفضُ أن أفكّرُ بمثل هذه الاستنتاج.

كم هو من الفظيعِ جدًا، أن أكونَ مخطئةً.

أيُّ شيء رائع

لا أعرفُ ما ذاك الشيءُ الرائعُ الذي

يواصلُ الطائرُ الأزرقُ قوله،

صوتُهُ يتسللُ من حنجرتهِ،

منقارهِ، جسدِه إلى الهواءِ الورديّ

لساعاتِ الصباحِ الأولى. أحبُّه

أيًّا كانَ. أحيانًا

يبدو الشيءَ الوحيدَ في العالمِ

مما لا يملك أفكارًا سوداءَ.

أحيانًا يبدو الشيءَ الوحيدَ

في العالمِ مما لا يطرحُ

أسئلةً لا يمكنُ، وعلى الأرجحِ

لن تجد لها إجابةً أبدًا، الشيءَ

الوحيدَ القانعَ تمامًا

بالصباحِ الورديّ، ومن ثَمَّ الأبيض

ومن يقولُ، بامتنانٍ، ذلك.

من

أغاني الكلاب

2013

العاصفة

والآنَ عَبْرَ الحقلِ الأبيضِ يمرحُ كلبي،

مبعثرًا الثلجَ الساقطَ للتو بأقدامٍ جامحةٍ.

راكضًا هنا وهناك، مبتهجًا،

وبالكاد قادرًا على الوقوف، يقفزُ، ويدورُ

إلى أن تُطبعَ حروفٌ كبيرةٌ، ضخمةٌ،

مشكلةً جملةً طويلةً، تعبّرُ

عن مباهج الجسدِ في هذا العالم.

أوه، ما كان لي أنا نفسي أن أعبّرَ عن ذلك بشكلٍ أفضل.

بيرسي

(واحد)

كلبنا الجديد، الذي أطلقنا عليه اسم الشاعرَ المحبوب[1]،

التهمَ كتابًا تركناه مهملًا لسوء الحظ.

ولحسن الحظ كان ذلك الكتاب هو *الباغفاد جيتا*[2]،

إذ أننا نمتلك نسخًا عدةً منه.

كل يومٍ الآن، وبيرسي ينمو

ليدخلَ أجملَ مراحل حياته، نمسُّ رأسه

المجعّدَ الجامحَ ونقول له:

«أوه، يا أكثرَ الكلابِ الصغيرةِ حكمة».

---

(1). المقصود هنا هو الشاعر الإنجليزي الرومانسي بيرسي بيش شيللي (1792-1822)

(2). الكتاب الهندي المقدس في الديانة الهندوسية.

رابسودي الكلب الصغير في الليل

(بيرسي الثالث)

يلصقُ خده بخدي

ويُصدرُ أصواتًا معبّرةً صغيرة.

وحين أستيقظُ، أو أكون مستيقظةً بما يكفي

ينقلبُ ظهرًا على عقبٍ، وبراثنه الأربعةُ

في الهواءِ

وعيناه داكنتانِ ومتّقدتان.

قولي إنكِ تحبينني، يقول لي.

أخبريني مرةً أخرى.

هل يمكنُ أن يكونَ هناك اتفاقٌ أعذبُ من هذا؟

مرةً بعد مرةٍ

يُتاحُ له أن يسألَ

ويُتاحُ لي أن أجيب.

بينجامن، الذي لا يعلم أحد من أين جاء

ما الذي يتوجّبُ عليّ فعلُهُ؟

حين أرفعُ المكنسةَ

يغادرُ الغرفةَ.

حين أوقدُ النارَ يركضُ

صوبَ الفناء.

ثم يعودُ، ويحضنُ

بعضنا بعضًا لوقتٍ طويل.

في صدرهِ المنخفضِ القريبِ من الأرضِ

أستطيعُ سماعَ قلبه وهو يبطئُ سرعته.

ثم أفركُ كتفيه وأقبّلُ قدميه

وأداعبُ أذنيه.

(بيني)، أقولُ له،

لا تقلقْ. أنا أيضًا أعرفُ كيف الحياةُ القديمةُ

تطاردُ الحياةَ الجديدة.

الكلبُ فرَّ مرة أخرى

وعليّ أن أبدأ بالصراخِ باسمه

وأن أصفق بيديّ،

ولكنها كانت تمطرُ طوالَ الليل

والجدولُ الضيقُ قد ارتفعَ

وهو اضطرابٌ أسمرُ يتدفقُ على

الأحجارِ المغطاةِ بالطحالبِ

وهو يتقدّمُ

بموسيقى مجنونةٍ عذبةٍ

ولذا لا أريدُ أن أربكها

بصوتي

وأنا أحثُّ وأنادي

كلبيَ الصغيرَ ليعودَ مسرعًا

انظرْ إلى شعاعِ الشمسِ والظلالِ وهي تطاردُ بعضها بعضًا

استمعْ كيف الريحُ تلتفُّ وتقفزُ

وتغوصُ إلى الأعلى وإلى الأسفلِ

من أنا لأناديَ جسده المبتهجَ القويَّ

أقدامه الأربعةَ البيضاءَ التي تهوى التجوالَ

وسطَ أوراق الشجرِ الداكنةِ

كي يعودَ ليمشي إلى جواري، مطيعًا.

أستاذة الشعر

منحتني الجامعةُ فصلًا جديدًا وأنيقًا
لأدرّسَ فيه. ثمة شرطٌ واحدٌ،
قالوا لي. لا تستطيعين إحضار كلبك.
إن ذلك متضمنٌ في عقدي، قلتُ لهم.
(كنتُ حريصةً على ضمان ذلك.)

خضنا في مساومةٍ وانتقلتُ إلى فصلٍ
قديمٍ في مبنى قديمٍ. تركتُ
البابَ مفتوحًا. واحتفظتُ بوعاءِ ماءٍ
في الغرفةِ. كنتُ أسمعَ (بِن) بين
الأصواتِ الأخرى ينبحُ، ويعوي
على مسافةٍ بعيدةٍ. ومن ثَمَّ كانوا يصلون .
(بِن)، ورفاقه، ربما كلبٌ غيرُ معروفٍ
أو كلبانِ، وجميعهم عطشون وسعيدون.
كانوا يشربون، ويجولون بين الطلبةِ.

وكان الطلبةُ يحبُّون ذلك. وجميعهم كتبوا قصائدَ سعيدةً عطشى.

المرةُ الأولى التي عاد بيرسي فيها

المرةُ الأولى التي عاد بيرسي فيها

لم يكن يبحرُ فوق متنِ غمامةٍ.

كان يتقافزُ على الرملِ كما لو أنه

قد جاءَ من مسافةٍ بعيدة.

«بيرسي»، ناديتُهُ بصوتٍ عالٍ، ومددتُ يدي إليه .

تلك الخصلات البيضاء .

ولكن لم يكن الوصولُ إليه ممكنًا. كما أن الموسيقى

حاضرةٌ ومع ذلك ليس بوسعك أن تمسّها.

«أجل، الأمر برمته مختلف»، قال لي.

«ستصابين بدهشةٍ بالغةٍ».

ولكنني لم أكن أفكرُ في ذلك. أردتُ فقط

أن أمسكَ بهِ. «اسمعي،» قال لي،

«أنا أفتقدك أيضًا.

والآن ستروين حكاياتٍ عن عودتي

ولن تكون كاذبةً، ولن تكونَ صادقةً،

ولكنها ستكون حقيقية.»

وبعدها، كما اعتاد على ذلك، قال لي، «لنذهب!»

وغذذنا الخطى ماشيينِ على امتداد الشاطئ معًا.

إذا ما كنت تمسك بهذا الكتاب

قد لا توافقنيَ الرأيَ، وقد لا يعنيكَ الأمرُ، ولكن
إذا ما كنتَ تمسكُ هذا الكتابَ فعليك أن تعرفَ
أن من بين كلِّ المشاهدِ التي أحبُّها في هذا العالم -
وهناك الكثيرُ منها – فعلى مقربةٍ من القمةِ تمامًا
لتلك القائمةِ تقعُ الكلابُ التي تركضُ حرَّةً دونَ قيود.

حبال

في الأيام الخوالي كانت الكلابُ تجولُ حرةً في طرقات مدينتنا. ولكن ذلك تغيّر الآن. ذات صباح وصل جرو إلى حديقتنا المنزلية بحبلٍ موثقٍ في طوقه. لعبَ مع كلابنا؛ وفي نهاية المطاف اختفى. ولكنه في الصباحِ التالي جاءَ مرةً أخرى، مع حبلٍ مختلفٍ مربوطٍ في طوقه. حدث هذا الأمر لعدة أيام- كان يظهرُ، وكانَ محبًا للعبِ ودودًا، ودائمًا مصحوبًا بحبل مقضوم.

وفي ذلك الحين كنا نُعِدُّ العدةَ للانتقالِ إلى منزلٍ آخرَ، وهو ما انتهينا منه في ليلةٍ واحدة. وبعد يومٍ أو أكثرَ تقريبًا، وبحدسٍ ما، ذهبتُ بسيارتي إلى المنزلِ القديم ووجدتُه مستلقيًا على العشبِ بالقرب من باب بيتنا. وضعتُه في السيارة وأريتُه أين يقعُ منزلنا الجديد. «ابذلْ قصارى جهدك»، قلتُ له.

مكثَ في الجوارِ قليلًا، ثم اختفى. ولكنّه ظهرَ مرةً أخرى في الصباحِ التالي عند منزلنا الجديد. وكان الحبلُ متدليًا من طوقه. وفي وقتٍ لاحقٍ من ذلك اليوم جاء مالكُهُ – حاملًا أوراقه من (بيدوي هوم)، مع قيده، وقال لي: «اسمُهُ سامي وهو لكِ».

واصل سامي نموَّه وتجواله في المدينة، وكنتيجةٍ لذلك صارَ الشرطيُّ المعنيُّ بالكلابِ يترصّدُ له ويمسكُ به. وفي نهايةِ المطافِ، بالطبع، تم استدعاؤنا إلى المحكمةِ، التي تعلّمنا سريعًا أنها ليستْ مكانًا يَحْسُنُ الجدلُ فيه. أُمرنا أن نضعَ حاجزًا، وهو ما قمنا به بالفعل.

ولكن تبيّن لاحقًا أن بوسع سامي ليس مضغُ الحبالِ فحسبُ، بل وتسلقُ الحواجزِ أيضًا. وهكذا استمر في تجواله. ولكن وفيما عدا الشرطيُّ المعنيُّ بالكلابِ، لم يواجه سامي أيَّ مشاكلَ؛ بل كوّن صداقاتٍ

جديدة. لم يكن يقاتلُ غيره من الكلابِ، كان فقط يمكثُ قليلًا في حديقة منزل ما، إن أمكن ذلك، ليقولَ مرحبًا لأصحابِ المنزل. صار الناسُ يتصلون بنا لنذهب لأخذه قبل أن يراه الشرطيُّ. وبعضهم كانوا يخبؤونه في بيوتهم كي لا يراه الشرطيُّ. في إحدى المرات اتصلت بي امرأةٌ من الطرف الآخر من المدينة؛ وحين وصلتُ إلى هناك قالتْ لي: «هل تستطيعين الانتظار لدقائقَ معدودةٍ؟ إنني أعدُّ له بيضًا مخفوقًا».

بوسعي أن أرويَ العديدَ من الحكاياتِ الأخرى عن سامي، فهي بلا نهاية. ولكنني سأخبركم بالنهاية السعيدة غير المتوقعة. استقال الشرطيُّ المعنيُّ بالكلاب من العمل! وكان الشرطيُّ التالي مختلفًا تمامًا؛ كان هو أيضًا يتذكّرُ الأيامَ الخوالي ويحنُّ إليها. لذا كان حين يجدُ سامي يعيده بكل بساطةٍ في سيارته إلى المنزل. وبهذه الطريقة، عاش حياةً طويلةً سعيدةً مع أصدقائي.

هذه هي حكاية سامي. ولكنني أعتقد أيضًا أن هناك قصيدةً أو اثنتين فيها في مكانٍ ما. ربما هي ما كانت عليه الحياةُ في هذه المدينة الحبيبة قبل سنواتٍ مضتْ، وكيف يحنُّ الكثيرون منا إليها. أو ربما تكونُ عن الأشياءِ الرائعةِ التي يمكنُ أن تحدثَ إذا ما تخلصتَ من الحبالِ التي تقيّدك.

جرو

الجرو هو جرو هو جرو.

هو على الأرجحِ في سلةٍ مع حفنةٍ من الجراءِ الأخرى.

ثم يصبحُ أكبرَ قليلًا فلا يكون سوى

حفنةٍ من الحنين.

لا يمكنُه إدراكَها أو فهمَها.

ثم يلتقطُه أحدُهم ويقولُ:

أريدُ هذا الجرو.

من

ألف صباح

2012

أذهبُ إلى الشاطئ

أذهبُ إلى الشاطئِ في الصباحِ

واعتمادًا على الساعةِ إما أن تكون الأمواجُ

مندفعةً إلى الأمامِ أو متراجعةً إلى الوراءِ،

وأنا أقولُ، أوه، كم أنا بائسةٌ،

ما الذي سأفعله –

ما الذي يتوجّبُ عليّ فعلُهُ؟ فيقولُ البحرُ

بصوتهِ العذبِ:

معذرةً، فلديّ عملٌ أقومُ به.

صادف أنني كنتُ واقفة

لا أدري إلى أين تذهبُ الصلواتُ،

أو ما الذي تفعلُه.

هل تصلي القططُ، وهي تمكثُ

نصفَ نائمةٍ تحتَ الشمسِ؟

هل يصلّي الأبوسوم[3] وهو

يعبرُ الشارعَ؟

أزهارُ عبّاد الشمسِ؟ شجرةُ البلوط العتيقةُ

التي تكبرُ كلَّ عامٍ؟

أعرفُ أن بوسعي المشيَ عَبْرَ العالمِ،

بمحاذاةِ الشاطئِ أو تحتَ الأشجارِ،

وعقلي ممتلئٌ بأشياءَ

قليلةِ الأهميةِ، بحضورٍ

تامٍّ للذاتِ. وهي حالةٌ لا أستطيعُ في الحقيقةِ

أن أطلقَ عليها مسمّى الحياة.

---

(3) . حيوان يُعرف أيضًا باسم الفأر الجرابي أو الفأر الكيسي، ويتميز بوجود كيس أو جيب ملتصق بالبطن يحمل فيه صغاره.

هل الصلاةُ هبةٌ، أم توسلٌ،

أم هل الأمرُ ذو أهميةٍ؟

أزهارُ عبّاد الشمسِ تومضُ، ربما تلك هي طريقتها.

ربما القططُ تغطُّ في نومٍ عميقٍ. ربما لا.

حين كنتُ أفكرُ بهذا الأمرِ صادفَ أنني كنتُ واقفةً

خارجَ بابَ منزلي، وكراستي مفتوحةٌ،

وتلك هي الطريقةُ التي أبدأ بها كلَّ صباحٍ.

ثم شرعَ طائرُ النمنمةِ في جنبةِ الرباطِ في الغناءِ.

كان مغمورًا بالحماسةِ كليًا،

لا أدري لماذا. ومع ذلك، لم لا.

لن أسعى لأحرفكَ عمّا تؤمنُ به أو ما

لا تؤمنُ به أيًّا كان. ذاك شأنك.

ولكنني فكّرتُ، بغناءِ طائرِ النمنمةِ، ما الذي يمكنُ

أن يكون ذلك إنْ لم تكن صلاةً؟

لذا اكتفيتُ بالاستماعِ، وقلمي معلّقٌ في الهواء.

ثلاثة أشياء لتتذكرها

وما دمتَ ترقصُ، فإنَّ بوسعكَ

كسرَ القواعدِ.

وأحيانًا يكونُ كسرُ القواعدِ

محضَ امتدادٍ لها.

أحيانًا ليس ثمة قواعد.

حكاية عتيقة

النومُ يجيءُ لوهلةٍ قصيرةٍ. وبعد ذلك أستيقظُ

في وادي منتصف الليلِ أو في الثالثةِ صباحًا

على نسائمِ العطرِ الأولى للربيعِ

الذي يقدُمُ، وحده، مهما يكنْ من أمرٍ

قلبي يقولُ، أنتِ لا تملكين ما ظننتِ أنك تملكينه

وجسدي يقولُ، هل سيتوقفُ هذا الطَرْقُ قطُّ؟

قلبي يقولُ: هدّئي من روعكِ، وكوني تلميذةً نجيبةً

جسدي يقولُ: دعيني أنطلق وأخرج، أريدُ أن

أداعبَ تلك الأزهارَ الناعمةَ البيضاءَ، التي تفتّحتْ في الليل.

الشاعرة تقارن بين الطبيعة البشرية والمحيط الذي جئنا منه

يستطيعُ البحرُ أن يقومَ بأشياءَ مجنونةٍ، كما أن باستطاعته أن يكونَ ساكنًا،

يستطيعُ أن يقرَّ مثل حريرٍ يتنفسُ

أو أن يقذفَ بالخرابِ إلى الشاطئ؛ يستطيعُ أن يمنحَ

هدايا أو يحتفظَ بكلِّ شيءٍ؛ يستطيعُ أن يتقدمَ، ويتراجعَ، ويزبدَ

مثلَ حشدٍ من الينابيعِ المتقدّمةِ، أو يستطيع

أن يدلي بمعسول حديثه. كما أستطيعُ أنا أيضًا،

وكما تستطيعين أنتِ، بلا شكٍ، وكذلك أنتَ.

قصة حياة

حين عشتُ تحتَ أشجارِ البلّوطِ السوداءِ

شعرتُ أنني مخلوقةٌ من أوراقِ الشجرِ.

حين عشتُ قريبًا من (منبع الشقيقتين)،

حلمتُ أنني كنتُ ريشةَ البلشونِ الأزرقِ

التي تُركتْ على الشاطئ؛

كنتُ زنبقةَ النبعِ، جذري رقيقٌ مثل شريانٍ،

وجهي مثل نجمةٍ،

وسعادتي وافرةٌ.

لاحقًا كنتُ آثارَ الخطى التي تتبعُ البحرَ.

كنتُ أعرفُ المدَّ والجزرَ، كنتُ أعرفُ مكوّناتِ

حطامِ السفينة.

كنتُ أعرفُ العيدرَ[4]، وعقابَ البحرِ ذا الحنجرةِ الحمراءِ

بمنقاره المرفوعِ وعينه الذكيةِ.

شعرتُ أنني أعلى نقطةٍ في الموجةِ،

(4) . جنس من الطيور شبيه بالبط.

جوهرةُ الماءِ فوق ظهرِ العيدرِ الملتمعِ.

كلا، ليس هناك من مفرٍ، وما كنتُ لأفرَّ

من هذا الفيضِ، مما يطفف الطينَ، هذا العلاجُ الناجعُ

للجاذبيةِ والشكل الواحد.

سأكونُ تلك الغمامةَ الصغيرةَ، التي تحدّقُ في الماءِ،

التي تماطلُ، التي ترفعُ ساقَها البيضاءَ،

التي تبدو مثل حَمَل.

فاراناسي[5]

في الصباحِ الباكرِ عبرنا الدرجَ المؤدّي إلى النهرِ،

حيثُ كانتِ النيرانُ ما تزالُ مشتعلةً،

وحدّقنا، بعقولنا المنتميةِ للغربِ، في نهرِ الغانغ.

كانَ ثمةَ امرأةٌ تقفُ في النهرِ وقد بلغ الماءُ خصرَها؛

كانت ترفعُ الماءَ ملءَ كفيها وتدفقُهُ

فوق جسدها، ببطءٍ ولمراتٍ عدّةٍ،

كما لو أنها تنتظرُ بلوغَ لحظةٍ

من الرضا الداخلي بين حياتها وحياةِ النهرِ.

وبعد ذلك دسّتْ وعاءً كانتْ قد أحضرتَهُ معها في الماءِ

وحملتْهُ ممتلئًا بالماءِ صاعدةً الدرجَ،

لا شك أنها تفعلُ ذلك لتنعشَ معبدًا ما قريبًا من المكانِ الذي تقطنُ فيه،

إذ أن هذه هي مدينةُ شيفا، صانعِ العالمِ، وهذا هو النهرُ.

لا أستطيعُ قولَ المزيدِ، سوى أن كلَّ ذلك حدثَ

---

(5) . مدينة تقع على ضفاف نهر الغانغ، وتعد مقدسة لدى الهندوس والبوذيين.

في صمتٍ وبساطةٍ مسالمةٍ، وشيءٍ ما بدا

مثل نعيمِ يقينٍ ما وحياةٍ عيشتْ

بالتناغمِ مع ذلك اليقين.

لا بدَّ لي أن أتذكرَ ذلك، قلتُ لنفسي، ونحن نطيرُ عائدين

إلى أمريكا.

لتدعُ الله أن أتذكرَ ذلك.

من

بجعة

2010

قلِقتُ

قلقتُ كثيرًا. هل ستنمو أشجارُ الحديقةِ، هل ستجري

الأنهارُ في الاتجاهِ الصحيحِ، هل سيتغيرُ الترابُ

كما عُلّمَ، وإن لم يحدث ذلك، كيف لي أن أصححَ الأمر؟

هل كنتُ على حق، هل كنتُ مخطئةً، هل سيُغفرُ لي،

هل بوسعي فعلُ ما هو أفضلُ؟

هل سأتمكنُ من الغناءِ قطُّ، فحتى العصافيرُ

تستطيعُ فعلَ ذلك، وأنا ميؤوس مني.

هل تراجعتْ حِدَّةُ بصري أم أنني أتخيلُ الأمرَ،

هل سأُصابُ بالروماتيزمِ، والكزازِ، والخرفِ؟

وأخيرًا، اكتشفتُ أن قلقي لم يَصِلْ بي إلى شيءٍ.

فككففتُ عنه. وأخذتُ جسديَ الطاعنَ في السنِّ

وخرجتُ إلى الصباحِ،

وصدحتُ بالغناء.

أمتلك بيتًا

أمتلكُ بيتًا، صغيرًا ولكنه مريحٌ. بداخله سريرٌ، ومكتبٌ، ومطبخٌ، وخزانةٌ، وهاتفٌ. وما إلى ذلك- تعرفُ كيف يبدو: أشياءٌ تَمَّ جمعُها.

في الخارجِ غيومُ الصيفِ تدفعها الريحُ، وجميعها تمتلك وجوهًا غامضةً وجميلةً. وثمة أشجارُ الصنوبر التي تتفرعُ لاذعةً وطموحةً، رغم أنها لا تعرفُ أسماءها. وهناك الطائر المحاكي؛ عاليًا وعاليًا يرتفعُ من شجرته ذات الأشواك ويرقصُ – إنه يرقصُ بالفعل، في الهواء. وثمة أيامٌ أتمنى فيها أنني لا أملكُ شيئًا، مثل العشب.

بجعة

هل رأيتها، منجرفةً، طوالَ الليلِ على النهرِ الأسودِ؟

هل رأيتها في الصباحِ، مرتفعةً في الهواءِ الفضيِّ،

ملءَ ذراعٍ من البراعمِ البيضاءِ،

هياجًا مطلقًا من الحريرِ والكتَانِ وهي تميلُ

صوبَ عبوديةِ جناحيها: منحنىً جليديًا، كومةً من الزنابقِ،

عاضةً الهواءَ بمنقارِها الأسودِ؟

هل سمعتَها، تزمّرُ وتصفّرُ

موسيقىً سوداءَ صاخبةً،

مثل شلالٍ

يقطعُ الحوافَّ الصخريةَ؟

وهل رأيتها، في النهايةِ، تحتَ الغمامِ –

صليبًا أبيضَ متدفقًا عَبْرَ السماءِ، قدماها

مثل أوراقِ شجرٍ سوداءَ، جناحاها مثل الضوءِ الممتدِّ للنهر؟

وهل أحسستَ بها، في قلبكَ، كيف انسجَمَتْ مع كلِّ شيءٍ؟

وهل اكتشفتَ أيضًا ما الغرضُ من الجمال؟

وهل غيّرتَ حياتك؟

كيف أذهبُ إلى الغابة

عادةً ما أذهبُ إلى الغابةِ وحيدةً، دون اصطحاب أيِّ صديقٍ، لأنهم جميعًا ميّالون للتبسمِ والخوضِ في الحديث ولذا فهم ليسوا ملائمين.

لا أريدُ حقًّا أن يكون أحدٌ شاهدًا على حديثي مع الكَتْبِرد[6] أو احتضاني لشجرةِ البلّوط العتيقة. لديَّ طرقي الخاصة بالصلاةِ، كما أن لكَ طرقكَ الخاصةُ بلا شك.

إضافة إلى ذلك، حين أكونُ وحدي أستطيعُ أن أكونَ لامرئيةً. أستطيعُ الجلوسَ فوق قمةِ كثيبٍ رمليٍّ ساكنةً مثلَ انبثاقِ الأعشابِ، إلى أن تمرَّ الثعالبُ بي راكضةً وغيرَ آبهةٍ. أستطيعُ سماعَ ما لا يكادُ يُسمعُ من صوتِ الورودِ وهي تغنّي.

إذا ما حدث وذهبتَ إلى الغابةِ معي، فلا بد أنني أحبُّكَ حبًا جمًّا.

---

(6) . طائر أمريكي مغرد.

على الشاطئ

على الشاطئ، في الفجرِ:

أربعةُ أحجارٍ يحضنُ بعضُها

بعضًا بشكلٍ واضحٍ.

كم ضَرْبًا من ضروبِ الحبِّ

يمكنُ أن يوجدَ في العالمِ،

وكم من التكويناتِ يمكنُ لها أن تُشكّلَ

ومَن أنا

لأتخيلَ أن باستطاعتي معرفةَ

مثل هذا الأمرِ الرائع؟

حين أشرقتِ الشمسُ

دلقتْ عن طيبِ خاطرٍ ضياءَها

فوقَ الأحجارِ

التي لم تتحرك، على الإطلاق،

تمامًا كما، وبما عودتّني عليه من كرمٍ،

أرسلتْ ضياءَها ليغمرني،

جسديَ الذي يحبُّ،

على حدٍّ سواء، أن يحتضنَ جسدًا آخر.

من

دليل

2009

مع الشكر إلى دوريّ الحقل، صاحب الصوت العذب والمتواضع

لا أعيشُ بسعادةٍ أو بارتياحٍ

مع حذاقةِ زماننا.

فالحديثُ كلُّه عن أجهزةِ الكمبيوترِ،

والأخبارُ كلُّها عن القنابلِ والدماءِ.

هذا الصباح، في الحقل المنعش،

صادفتُ عشًا مخبّأً.

كان يضمُّ أربعًا من البَيْضِ الدافئ المرقّط.

لمستُها.

ثم انصرفتُ لشأني بهدوءٍ،

وقد أحسستُ بشيءٍ أكثرَ روعةً

من كلِّ كهرباءِ مدينةِ نيويورك.

درس من جيمس رايت

إذا كان في وسعِ
جيمس رايت أن يضعَ في ديوانهِ
صفحةً بيضاءَ

مهداةً إلى «الحصان ديفيد
الذي التهم إحدى قصائدي»، فإنني على استعدادٍ
لأن أتبعَ أثره على امتدادِ

الممرِّ العذبِ الذي قطَعَه
عَبْرَ الأرضِ القاحلةِ
وأقترحَ عليكَ أنِ أجلسْ

بهدوءٍ تامٍّ
في مكانٍ بريٍّ جميلٍ، واستمعْ
إلى الصمتِ.

وأقولُ إن هذا، أيضًا،
قصيدة.

ما يشبه المحادثة

لم أخضْ في الحقيقةِ، ليس بعدُ، في حوارٍ مع ثعلبِ الماءِ[7]

حولَ حياتهِ.

لديه الكثيرُ من الأسنانِ، مما يخلقُ لديه مشكلةً

مع الأصواتِ اللينة.

لذلك فإن وسيلةَ تواصلنا

مقتصرةٌ على لغةِ الجسد.

إنه يسبحُ مثل أكثر الأسماكِ رشاقةً،

إنه يعومُ ويزفرُ ويرفعُ أثرًا من الفقاعاتِ.

شيئًا فشيئًا يثقُ في عينيّ

وجسدي الفضوليِّ الجالسِ على الشاطئ.

أحيانًا يدنو.

تعجبني شواربُهُ

(7) . بالإنجليزية otter وله أسماء أخرى منها القضاعة.

وفروه الداكن الذي أفضّل أن أموتَ على أن أرتديه.

ليست لديه كلماتٌ، ومع ذلك فإن ما يقوله عن حياته

واضحٌ.

ليس لديه جهازُ كمبيوتر.

يتخيّلُ أن النهرَ سيتدفقُ إلى الأبد.

لا يحسدُ المنزلَ الجافَّ الذي أعيشُ فيه.

لا يتساءلُ عمّن أو ما أعبدُهُ.

إنه يتساءلُ، صباحًا تلو صباحٍ، كيف أنَّ النهرَ

باردٌ جدًا ومنعش وحيٌّ، ومع ذلك

فإنني لا أُقدِمُ على القفزِ فيه.

كبدايةٍ، العشبُ العذب

.1

هل سيقفُ الثورُ الجائعُ في الحقلِ دونَ أن يأكلَ
من العشبِ الشهيِّ؟
هل ستقضمُ البومةُ جناحيها؟
هل ستنسى القبّرةُ أن ترفع جسدَها في الهواءِ
أو
تنسى الغناءَ؟
هل ستجري الأنهارُ ضدَّ التيارِ؟

انظرْ، أقولُ – انظرْ
موثوقيةَ وأناقةَ ما تعلّمنا إيّاه
منحةُ الأرضِ الشجاعة هذه.

.2

تناولِ الخبزَ وافهمِ البحبوحةَ.
اشربِ الماءَ، وافهمِ البهجةَ.
زُرِ الحديقةَ حيثُ الأزهارُ البوقيّةُ الأرجوانيةُ
تفتحُ أجسادَها للطيورِ الطنّانةِ

التي تحتسي العذوبةَ بشراهةٍ مثيرة.

لأن شيئًا واحدًا يؤدّي إلى آخرَ.
سرعانَ ما ستلاحظُ كيف تلتمعُ الأحجارُ تحتَ الأقدامِ.
وفي نهايةِ المطافِ سيكونُ المدُّ والجزرُ هما التقويمُ الوحيدُ
الذي تؤمنُ به.

ووجهُ شخصٍ ما تحبه، سيكونُ نجمةً
حميمة وقصيّة معًا،
وستكونُ قلقًا ومتسمًا بالاحترام معًا.
وستسمعُ الهواءَ ذاته، مثل حبيبٍ، يهمسُ:
أوه، دعني لفترةٍ أطولَ، أدخلُ الجسدينِ
الجميلين لرئتيك.

.3
سحرُ الوجودِ
هو كلُّ حواري
معكم، يا أحبائي.
كلُّ ما أستطيعُ إخباركم به هو ما أعرفُهُ.

انظروا، ثم انظروا مرةً أخرى.

هذا العالمُ ليس محضُ انفعالٍ عابرٍ للعينين.

إنه أكثرُ من العظامِ.

إنه أكثرُ من الرسغ الرقيق مع نبضه الشخصي.

إنه أكثرُ من نبضِ القلبِ الواحد.

إنه الثناءُ.

إنه العطاءُ حتى يحسَّ العطاءُ بالمنح.

لديك حياةٌ – تخيّلْ ذلك فحسبُ!

لديك هذا اليوم، وربما يومٌ آخرُ، وربما

يومٌ آخرُ غيرُه.

.4

يومًا ما سأطلبُ من صديقي بولوس،

الراقص، الخزّاف،

أن يصنعَ لي وعاءً للتسول

وهو ما أؤمنُ

أن روحيَ بحاجةٍ إليه.

وإذا ما جئتُ إليك،

إلى بابِ بيتكَ الهانئِ

بملابسَ غيرِ مغسولةٍ وأظفارٍ متسخةٍ،

هل ستضعُ شيئًا فيه؟

أودُّ أن أجربَّ حظي.

أودُّ أن أمنحك هذه الفرصة.

.5

نفعلُ شيئًا ما أو شيئًا آخر؛ ونبقى

كما نحنُ، أو أننا

نتغيّرُ.

تهانيَّ، إن كنتَ قد تغيرت.

.6

دعني أطرحْ عليكَ هذا السؤال.

هل تعتقدُ أن الجمالَ يوجدُ من أجل سببٍ

رائعٍ ما؟

وإذا لم تنجحْ هذه المغامرةُ-حياتُك- في إيقاعكَ في دائرةِ سحرِها

فما الذي سيجدي نفعًا معك؟

.7

ما أحببتُهُ في البدايةِ، كما أظنًّ، كانتْ نفسي.

ولا يهمُّ أنني كنتُ مضطرةً لذلك، حيثُ أن شخصًا ما

قد كانَ مضطرًا لذلك.

كان ذلك منذ سنواتٍ طويلةٍ مضت.

ومنذ ذلك الحين نجحتُ في الخروجِ

من الأسوارِ التي تكبّلُني،

رغمَ ما رافق ذلك من صعوبةٍ.

أعني تلك التي فكّرتْ بأن تسيطرَ على قلبي.

تخلّصتُ منها، وضعتُها على الفتاتِ المتراكمِ.

ستكونُ غذاءً بطريقة ما (كلُّ شيء غذاءٌ بطريقةٍ ما

أو بأخرى غيرها).

وأصبحتُ طفلةَ الغيومِ، وطفلةَ الأملِ.

أصبحتُ صديقةَ عدوي،

أيًّا كان.

أصبحتُ أكبرَ سنًا وَ، مثمنةً ما تعلمته،

أصبحتُ أصغرَ سنًا.

وما الذي أجازفُ به لأخبرك بهذا، وهو كل ما أعرفُهُ؟

أحببْ نفسَكَ. ثم انسها. ثم احببِ العالم.

الأحاجي، أجل

الحقُّ أننا نعيشُ مع أحاجٍ يعزبُ عنّا فهمُها
لفرطِ ما تتسمُّ به من الروعةِ.

كيف يمكنُ للعشبِ أن يكون مغذيًا
في أفواهِ الحملان.
كيف أن الأنهارَ والحجارةَ في حِلفٍ
أبديٍّ مع الجاذبيةِ
في حين نحلمُ نحنُ بالطيران.
كيف تتماسُّ يدانِ فلا تُحلُّ عُرى الروابطِ
إلى الأبد.
كيف يأتي الناسُ، من البهجةِ أو ندوب الألمِ،
إلى مستراحِ القصيدة.
فلأبقِ على المسافةِ، دائمًا، بيني وبين أولئك
الذي يظنون أنهم يمتلكون الأجوبةَ.

ولأرافق دائمًا أولئك الذي يقولونَ
«اسمعي!» ويضحكون مندهشين،
ويحنون رؤوسهم.

عند نهر كلاريون

.1

لا أعرفُ من هو اللهُ على وجهِ التحديد.

ولكنني سأخبركم بهذا الأمر.

كنتُ جالسةً في النهرِ المعروفِ باسم كلاريون،

فوق صخرةٍ يرشْرِشُها الماءُ

وطوال ما بعد الظهيرةِ استمعتُ إلى أصواتِ

النهرِ وهي تتحدثُ.

فكلما ارتطم الماءُ بالصخرةِ كان لديها ما تقولُهُ،

والماءُ ذاته، وحتى الطحالبُ التي تتتابعُ

تحتَ الماءِ.

وببطءٍ، ببطءٍ شديدٍ، اتّضحَ لي

ما كانوا يقولونه.

قال النهرُ: أنا جزءٌ من القداسةِ.

وأنا أيضًا، قالتِ الصخرةُ. وأنا أيضًا، همسَ

الطحلبُ تحتَ الماءِ.

لقد ذهبتُ إلى النهرِ من قبلُ، عدةَ مراتٍ.

لا تلقِ باللائمة على النهرِ لأن الأشياءَ لم تحدثْ بسرعةٍ.

فأنتَ لا تسمعُ مثل هذه الأصواتِ في ساعةٍ أو يومٍ واحدٍ.

وأنتَ لن تسمعَها أبدًا إذا ما كانتِ الأنا قد حشتْ أذنيك.

ومن الصعبِ أن تسمعَ أيَّ شيءٍ على أيِّ حالٍ، وسطَ

كلِّ الضجيجِ، والمطامح.

.2

إذا كان الإلهُ موجودًا فهو ليس مجردَ حظٍّ سعيدٍ.

إنه أيضًا القُرادةُ التي قتلتْ كلبتي الرائعةَ ليوك.

قال النهرُ: تخيّلي كلَّ ما بوسعك تخيله، ثم استمري في ذلك.

تخيّلي كيف أن الزنبقةَ (التي ربما كانتْ هي أيضًا جزءًا من الإله)

ستغنّي لكِ لو كانتْ تستطيعُ الغناءَ، لو

أنك توقفتِ لتستمعي إليها.

وكيف يمكنك أن تكوني واثقةً إلى هذا الحدِّ على كلِّ حالٍ

بأنها لا تغنّي؟

إذا كان الإلهُ موجودًا فهو ليس مجردُ كنائسَ ورياضياتٍ.

إنه الغابةُ، والصحراءُ.

إنه القممُ الجليديةُ، التي تموتُ.

إنه الغيتو ومتحفُ الفنونِ الجميلة.

إنه فان جوخ وآلن جينسبرغ وروبرت موثرويل.

إنه الأيدي العديدةُ اليائسةُ، التي تنظّفُ وتُعِدُّ أسلحتَها.

ومن المحتملِ أنه كلُّ واحدٍ منّا.

ورقةُ العشبِ، والعبقريُّ، والسياسيُّ، والشاعرُ.

وإذا ما كان ذلك صحيحًا، أليس شيئًا بالغَ الأهمية؟

أجل، من المحتمل أن أكون جزءًا صغيرًا من الإله، و

كلُّ واحدٍ منكم أيضًا، أو على الأقلِّ

مما ينويه ويأملُ به.

وهو أمرٌ جالبٌ للبهجةِ بما لا يُقاسُ.

لا أعرفُ كيف يمكنُ أن يداخلكُمُ الشكُ

في مثلِ هذه الفكرة.

ما أعرفُهُ فحسبُ هو أن النهرَ واصلَ الغناءَ.

لم يكن ذلك مُعْتَقدًا، كانتْ بهجةَ النهرِ الدائمةَ

وهي كانتْ أفضلُ كثيرًا من المحاضرة،

التي كانتْ مريحةً، ومشوقةً، ولا يمكن نسيانُها.

.3

بالطبع لكلِّ واحدٍ منّا، هناك الحياةُ اليوميةُ.

لِنَعِشْهَا، إشارةً تلوَ إشارةٍ.

حين نقطعُ البطيخةَ الناضجةَ، ألا ينبغي لنا أن نتوجّه لها بالشكر؟

ثُمَّ أليسَ علينا أن نشكرَ السكينَ أيضًا؟

إننا لا نعيشُ في عالمٍ بسيط.

.4

كان ثمةَ شخصٌ أحببتُه داهَمَتْهُ الشيخوخةُ والمرضُ.

واحدةً واحدةً شاهدتُ النيرانَ وهي تخمدُ.

لم يكن بوسعيَ فعلُ شيءٍ

سوى تذكُّرِ

أننا نُعطى

ثُمَّ نَرُدُّ العطيّة.

.5

كلبتي ليوك ترقدُ في قبرٍ في الغابةِ،

لقد أعيدتْ إلى الأرضِ.

ولكنَّ نهرَ كلاريون ما يزالُ يجري

من المكانِ الذي يأتي منه أيًّا كانَ

إلى المكانِ الذي أخبرَ أنَّ عليهِ بلوغَهُ.

أصلّي للأرضِ اليائسةِ.

أغنّي للعالمِ اليائسِ.

أفعلُ القليلَ الذي بوسعِ كلِّ شخصٍ فعلُهُ، وهو ليس بالكثير.

أحيانًا يهمسُ النهرُ، أحيانًا يحتدُّ.

.6

كان هناك على جانبَي ضفتيه، هل لي أن أقولَ،

أزهارُ كاردينال كثيفةٍ جدًا.

وأشجارٌ، وطيورٌ لها أجنحةٌ ترفعها،

بحقِّ السماءِ -

إنهم المحظوظون: فهم يتمتعون بطبيعةٍ عميقةٍ،

وهم مطيعون بشكلٍ باعثٍ للسعادة.

بينما أجلسُ أنا هنا في منزلٍ مليءٍ بالكتبِ،

والأفكارِ، والشكوكِ، ولحظاتِ التردد.

.7

وما زال، محفورًا بعمقٍ في ذهني،

يواصلُ النهرُ مجيئه، لامسًا إيّايَ، وعابرًا بي في رحلته

الطويلةِ، وصوتُهُ الشاحبُ، الواثقُ،

يغنّي.

من

دب ترورو ومغامرات أخرى

2008

الممالك الأخرى

فكّرْ بالممالك الأخرى. الأشجار، على سبيل المثال،

بأسمائها الرخيمة: البلوط، الحور، الصفصاف.

أو الثلج، الذي تملك شعوبُ الشمالِ عشراتِ الكلماتِ لوصفِ

أشكالِ مقدمِهِ المختلفةِ. أو المخلوقات، بفروها السميك،

وتحديقها الخجول الخاوي من الكلمات.

إحساسها الجازم بالغرضِ

الذي خُلقتْ لأجله. وهكذا يكونُ العالمُ

أكثرَ غنىً، وأكثرَ جموحًا ممتزجًا بالعذوبةِ، كما ولدتَ

أنتَ أيضًا لتكون.

الهدية

بعد أن جعّد البحرُ الذي ساطته الريحُ

نفسه مرةً أخرى في طيّاتٍ من الزرقةِ، عثرتُ

في الحطامِ الأسودِ

على صدفةٍ تُدعى نبتون-

سمراءَ مصفّرةٍ وبيضاءَ،

كرويةٍ،

ذاتِ ذيلٍ

وبرجٍ

وبابٍ داكنٍ،

وهي بأجمعها

ليست أكبرَ

من قبضةِ يدي.

بدتْ، تستطيعُ القولَ،

باهضةَ الثمنِ جدًا.

فكّرتُ في رحلاتها

في جوفِ الأطلنطيِّ المحاطِ بالريحِ

وتساءلتُ

أنها كانتْ ما تزالُ سليمة.

آه أجلْ، كان هناك

ذاك البابُ

الذي يمسكُ فقط بالخواءِ

النهائيِّ

الذي لا مفرَّ منه.

كان يوجدُ هذا – كان يوجدُ هذا دائمًا.

ومع ذلك، يا له من منزلٍ

تتركه وراءك!

أمسكتُ بها

مثلَ أكثرِ الكتبِ حكمةً

وتخيّلتُ

رحلاتها صوبَ يدي.

والآنَ، صوبَ يدك.

ذئب البراري في العتمة، تذكُّرُ ذئاب البراري

أكثرُ الأشياءِ عتمةً

صادفني في العتمةِ.

كان محضَ وجهٍ

وصفٍّ من الأسنانِ

التي لم تكن تحملُ أيَّ كلمةٍ،

رغم أنني شعرتُ بنَفَسٍ مالحٍ

يتنهّدُ صوبي.

ذاتَ مرةٍ، في خريفٍ بعيدٍ،

كنتُ راكعةً على ركبتيَّ

في مستنقعِ التوتِ البريِّ

وسمعتُ، في ذلك المكان الموحش،

صوتينِ قادمينِ من أسفلِ التلةِ،

وقد شعرتُ بسعادةٍ غامرةٍ

لأنني أؤتمنتُ على هذا السرِّ،

وهو أن ذئابَ البراري تستطيعُ الحديثَ إلى بعضِها بعضًا

وهي تمشي معًا،

لأنني تساءلتُ، ما الذي يمكنُ أن يكونَ غير ذلك؟

ورغم أن ما ظهرَ هو شاباتان، ذواتا ساقينِ بكلِّ تأكيدٍ

ولم تكونا مدركتينِ لوجودي أبدًا،

كانتا تتبادلان الأحاديثَ بلسانيهما الرشيقين

وتحكيانِ وتجيبانِ،

ورغم أنني أدركتُ

أنني اعتقدتُ بشيءٍ غير صحيحٍ على الأرجحِ،

إلا أنه كان من الرائعِ

أن أصدّقَ حدوثَهُ.

ولقد ظلَّ هذا الأمرُ معي

مثلَ الهديةِ التي ما إن تُمنح فهي ممنوحةٌ إلى الأبد.

بدتا هادئتينِ وسعيدتينِ،

عنيتُ فتاتَي البريّةِ

التي نفينا أنفسنا منها إلى حدٍّ لا يُدرك مدى بعثِهِ على السخطِ
وإثارتِهِ للشفقة.

من

طائر أحمر

2008

الصباحات عند بلاك وواتر

لسنواتٍ عدةٍ، كلَّ صباحٍ، كنتُ أشربُ
الماءَ من نبع بلاك وواتر.
كان منكّهًا بأوراقِ شجرِ البلّوطِ وكذلك، بلا شكٍ،
أقدامِ البط.

وكان دائمًا ينقذني
من الوعاءِ الجافِ للماضي الموغلِ في البعد.
ما أريدُ قولَهُ هو
أنَّ الماضي هو الماضي،
وأن الحاضرَ هو ما تتشكّلُ منه حياتك،
وأنكَ قادرٌ
على اختيارِ ما سيكونُهُ ذلك،
أيها المواطنُ العزيزُ.

لذا تعالَ إلى النبعِ،

أو إلى نهرِ خيالك،

أو ميناءِ حنينك،

وضعْ شفتيك قبالةَ العالمِ.

ولتحيَ

حياتك.

البستان

حلمتُ

بالإنجاز.

غذّيتُ

الطموحَ.

قايضتُ

لياليَ من النومِ

بما أنجزُهُ من أعمالٍ.

عجبًا، وقد اكتشفتُ

كيف البرعمُ الناعمُ

يتحوّلُ ليصيرَ ثمرةً خضراءَ

تتحوّلُ بدورها لتصيرَ ثمرةً حلوةَ المذاقِ.

عجبًا، كما اكتشفتُ

أن الرياحَ كلها تهبُّ باردةً

في نهايةِ المطافِ،

وأن أوراقَ الشجرِ،

بالغةُ الجمالِ، وكثيرةُ العددِ،

تختفي

في حزمةِ الزمنِ،

في حزمةِ الطموحِ العظيمةِ السوداءِ،

وأن نضجَ

التفاحةِ

هو سقوطُها.

أحيانًا

.1

شيءٌ ما بزغَ

من العتمةِ.

لم يكن يشبه أيَّ شيءٍ رأيتُهُ من قبلُ.

لم يكن حيوانًا

أو زهرةً،

إلا إنْ كان كلهما معًا.

شيءٌ ما بزغَ من الماءِ،

رأسٌ في مثل حجمِ القطِّ

لكنه موحِلٌ ودون أذنين.

لا أعرفُ ما هو اللهُ.

لا أعرفُ ما هو الموتُ.

ولكنني أعتقدُ أن بينهما

بعضَ الوهجِ والتدبيرِ الملِّحِ.

.2

أحيانًا

تتركني الكآبةُ منقطعةَ الأنفاسِ.

3.

بعد ذلك كنتُ في حقلٍ من أزهارِ عبّادِ الشمسِ.
كانتْ تغمرني حرارةُ منتصفِ الصيفِ.
كنتُ أفكّرُ في الخَدَرِ العذبِ المكهربِ للخلقِ.

حينما بدأ في التشكّلِ.

في جهةِ الغربِ، تجمعتْ الغيومُ.
سحاباتٌ قزعيةٌ
خلال ساعةٍ كانتِ السماءُ ملأى بها.
خلال ساعةٍ كانتِ السماء ملأى
بعذوبةِ المطرِ، ووميضِ البرق.
متبوعًا بصليلِ الأجراسِ العميقِ للرعد.

ماءٌ ينصبُّ من السماء! كهرباءٌ من المصدر!
كلاهما اعتراه الجنون ليخلقَ شيئًا!

البرقُ أكثرُ إشراقًا من أيِّ زهرةٍ.
الرعدُ دون عظمٍ نعسانٍ في جسدِهِ.

.4

تعليماتٌ لتحيا الحياة:

كنْ متيقظًا.

كنْ مندهشًا.

اخبرِ الآخرينَ عنها.

.5

لمرتينِ أو ثلاثِ مراتٍ في حياتي

اكتشفتُ الحبَّ.

في كلِّ مرةٍ بدا أنه قادرٌ على حلِّ

كلِّ شيءٍ.

في كلِّ مرةٍ حلَّ الحبُ عددًا كبيرًا من الأشياءِ

لكن ليس كلّ شيءٍ.

لكنه أشعرني بالامتنانِ كما لو أنه قام بذلك

بالفعلِ، وكما لو أنه حلَّ كلَّ شيءٍ على أكمل وجه.

.6

إلهي، فلتسكنْ في قلبي

ولتحصّني،

انزعْ مني جوعي للأجوبةِ،

ودعِ الساعاتِ تلهو فوقَ جسدي

مثل يدَي حبيبي.

ودعْ رأسَ القطِّ يظهرُ مرةً أخرى –

الأصغر بين عجائبك،

ذو قرابة من دمي جامحٍ على الأرجح –

ذو قرابة من دمي الجامح على الأرجح،

في وعاء العشاء الأسود للنبع.

.7

الموتُ ينتظرني، أعرفُ ذلك، عند زاويةٍ ما أو أخرى.

هذا لا يثيرُ دهشتي.

ولا يخيفني.

بعد المطرِ، عدتُ مرةً أخرى إلى حقل زهر عبّاد الشمس.

كان الجو باردًا، ولم يكن النعاسُ يثقلُ جفنيَّ.

مشيتُ ببطءٍ، وأصغيتُ

للجذورِ الجامحةِ، في الأرضِ المنقوعة،

وهي تضحك وتنمو.

دعوة

هل لديك متسعٌ من الوقتِ

للتريثِ

لوهلةٍ قصيرةٍ

في زحامِ مشاغلكَ اليوميّةِ

للحساسينِ

التي تجمّعتْ

في حقلِ الأشواكِ

لتخوضَ معركةً موسيقيةً،

لترى من يستطيعُ الغناءَ

بالنبرةِ الأكثرِ علوًا

أو الأكثر خفوتًا،

أو الأكثر تعبيرًا عن البهجةِ،

أو الأكثر رقةً؟

مناقيرُها القويةُ الزرقاءُ

تحتسي الهواءَ

وهي تحاولُ

بتناغمٍ

ليس من أجلكَ

وليس من أجلي

وليس لأجل الفوز

بل لمحضِ البهجةِ والامتنان –

صدّقنا، يقولون،

إنها مسألةٌ جادّةٌ

محضُ أن تكونَ حيًا

في هذا الصباحِ الناضرِ

في هذا العالمِ المهشّمِ

أتوسّلُ إليكَ،

لا تعبرْ ساهمًا

دون أن تقفَ

وتولي انتباهكَ لهذا

العرضِ الأقربِ للتفاهةِ

فلربما حملَ معنىً ما

ولربما حملَ المعاني كلها.

ولربما يكونُ ما عناه ريلكه حين كتبَ:

ينبغي لكَ أن تغيّرَ حياتك.

من هذا النهر، حين كنتُ طفلة، اعتدت على الشرب

ولكنني حين رجعتُ وجدتُ
أن جسدَ النهرِ كان يُحتضرُ.

«هل تكلمَ؟»

نعم، لقد صدحَ بالأغنياتِ القديمةِ، ولكن بوهنٍ.

«ما الذي ستفعلينه؟»

سأحزنُ بالطبع، ولكن هذا شيءٌ لا يُذكرُ.

«ما الذي ستحزنين لأجله على وجه التحديد؟»

للنهرِ. لنفسي، بهجتي
الضائعةِ. للأطفالِ الذين لن
يعرفوا ما الذي يمكن للنهرِ أن يكونه – صديقًا،
صاحبًا، شيئًا من الجنة.

«أليس في ذلك مبالغةٌ ما؟»

قلتُ: يمكن له أن يكون صديقًا. صاحبًا.

شيئًا من الجنة.

ينبغي أن نكون على أهبة الاستعداد

الطريقةُ التي تقولُ بها طيورُ الزقزاقِ وداعًا.

الطريقةُ التي يستمرُ بها الثعلبُ الميتُ في النظرِ

أسفلَ التلِّ

بعينينِ مفتوحتين.

الطريقةُ التي تهوي بها أوراقُ الشجرِ، ثم هنالك

الانتظارُ الطويلُ.

الطريقةُ التي يقولُ بها شخصٌ ما: ينبغي ألا نلتقي

مرةً أخرى أبدًا.

الطريقةُ التي يجدُ فيها العفنُ الكعكةَ،

الطريقةُ التي تتغلبُ فيها الحموضةُ على القشدة.

الطريقةُ التي يتدفقُ بها ماءُ النهرِ، دون أن يعودَ أبدًا.

الطريقةُ التي تتصرمُ بها الأيامُ، دون أن تعودَ أبدًا.

الطريقةُ التي يعودُ بها شخصٌ ما، لكن في الأحلامِ فقط.

أحمر

طوالَ الوقتِ

الذي كنتُ أدرّسُ فيه

في ولاية فرجينيا

أردتُ أن أرى

الثعلبَ الرماديَّ.

وفي نهاية المطافِ وجدته.

كان على الطريقِ السريعةِ.

كان يغنّي

أغنيةَ موته.

رفعتُهُ عن الأرضِ

وحملتُهُ

إلى داخلِ أحدِ الحقولِ

في حين استمرّتِ المركباتُ في المرور.

أراني

كيف يمكنه أن يئنَ

كيف يمكنه أن ينزفَ.

وداعًا قلتُ

لضوءِ عينيهِ

في الوقتِ الذي كانت فيه المركباتُ تعبرُ.

بعد صباحين

وجدتُ الأخرى.

كانتْ على الطريق السريعة.

كانت تغنّي

أغنيةَ موتها.

رفعتُها عن الأرضِ

وحملتُها

إلى أحدِ الحقولِ

حيث أنّتْ

نصفُها رماديٌّ

ونصفها الآخرُ أحمرُ

في حين واصلتِ المركباتُ القدومَ.

في حين واصلتِ المركباتُ القدومَ.

ثعلبٌ رماديٌّ وأنثى ثعلبٍ رماديةٌ.

أحمرُ، أحمرُ، أحمرُ.

بورتريه شخصي

تمنيتُ لو كنتُ في العشرين من عمري وعاشقةً للحياةِ

ولا أزالُ في قمة حيويتي.

إلى الأمام، أيتها الساقان المسنتان!

ثمة الكثبانُ الطويلةُ الشاحبةُ؛ على الجانبِ الآخرِ

الورودُ تتفتحُ دون أن تجدَ في كدحها

محنةً للروح.

إلى الأعلى، أيتها الساقان المسنتان! ثمة الورودُ، وثمة البحرُ

ملتمعًا مثل أغنيةٍ، مثل جسدٍ

أريدُ لمسه

رغم أنني لستُ في العشرين

ولن أكونَ مرةً أخرى لكن آه! بل في السبعين. وما زلتُ

عاشقةً للحياةِ. وما زلتُ

في قمةِ حيويتي.

مع أكثر الأخبار سوادًا

في الليلِ

النمرُ

الهزيلُ

والسريعُ،

وحيدٌ

زوجانِ من العيونِ

ومع تثاؤبٍ واحدٍ،

لوهلةٍ قصيرةٍ،

لسانٌ طويلٌ ورديُّ اللونِ.

في الأغلبِ

يستمعُ

وهو يمشي

على الانتفاخِ الخفيفِ

لقدميه

كما لو كان يمشي

فوق سجادةٍ ما.

من بلادِ فارسَ،

أو أنه يقفزُ

إلى داخلِ أغصانِ

إحدى الأشجارِ،

أو أنه يسبحُ

عابرًا النهرَ،

أو ببساطةٍ

يقفُ في العشبِ

وينتظرُ.

لأنك، يا سيدي،

قد منحته،

لأسبابك الخاصة،

كلَّ ما يحتاجه:

أوراقَ الشجرِ، والطعامَ، والمأوى؛

وطويّةً

لا تطرفُ أبدًا.

من

ظمأ

2006

حين أكون بين الأشجار

حينَ أكونُ بين الأشجارِ
خاصةً أشجارَ الصفصافِ وخرّوبَ العسلِ،
وبنفس القدر أشجارَ الزانِ، والسنديانِ والبلّوط،
فإنها تُطلقُ إشاراتٍ للبهجةِ.
حتى أنني أوشكُ على القول إنها تنقذني، وبشكلٍ يوميٍّ.

إنني بعيدةٌ جدًا عن الأملِ بنفسي،
بأن أكون مفعمةً بالطيبةِ والفطنةِ،
وألا أمضي مسرعةً في العالمِ
بل أمشي ببطءٍ، حانيةً هامتي في أغلبِ الأحيانِ.

حوليَ الأشجارُ تضطرمُ في أوراقها
وتنادي، «امكثي قليلًا».
الضوءُ يتدفّق من أغصانها.

وتنادي مرةً أخرى، «الأمرُ بسيطٌ»، تقولُ،
«وأنتِ أيضًا قد جئتِ
إلى العالمِ لتفعلي هذا، أن تتريّثي، وأن تمتلأي بالضوءِ وأن تشعّي».

حين تتحدث الورود، أُعيرُها الانتباه

«ما دمنا قادراتٍ على

أن نكونَ مسرفاتٍ سنكونُ

كذلك على نحوٍ مفرطٍ. ومن بعد ذلك سنهوي

ورقةً في إثر ورقةٍ على الأرضِ. هذه

هي مهمتنا التي لا تتغيرُ، وهو ما نفعلُهُ ببهجة».

وواصلن حديثهنَّ. «استمعي،

إن أغلالَ القلبِ ليستْ، كما تظنين،

الموتُ، والمرضُ، والألمُ،

والأملُ غيرُ المتبادلِ، وليستِ الوحدةُ، لكنها

الكَلالُ، والندمُ، والخُيلاءُ، والخوفُ، والقلقُ، والأنانية».

كان شذاها طوالَ الوقتِ يرتفعُ

من أجسادها العمياءِ، مما جعلني أتقافزُ من البهجةِ.

ست طرق للتعرف على الله

.1

أعرفُ الكثيرَ من الكلماتِ الفخمة.

أنزعُها من قلبي ومن لساني.

ثم أصلّي.

.2

إلهي، الرحمةُ في يديك، فهبني

قليلًا منها. والرأفةُ أيضًا. حاجتي

كبيرةٌ. الجمالُ يمشي بحريةٍ

وبرقةٍ متناهية. العَجَلةُ تضعُ

رَسَنًا على وجهي فأركضُ فوقَ

الحقولِ الخضراءِ راغبةً في صوتكَ، رقتكَ،

ولكن دون أن أحظى بسوى العشبِ العذبِ

للحقولِ قبالةَ جسدي. حين وجدتكَ أولَّ مرةٍ كنتُ

ممتلئةً بالضوءِ، والآن العتمةُ تكبرُ

وهي ملأى بأشياءَ ملتويةٍ، لاذعةٍ

وضعيفةٍ، وكلٌّ منها يحملُ اسمي.

.3

أتمددُ باسترخاءٍ فوق العشبِ، هذا كلُّ ما في الأمرِ. منتهى

البساطةِ. ثم أضطجعُ مرةً أخرى حتى أصبحَ

داخلَ الغيمةِ التي تعبرُ فوقي

ولكنها عاليةٌ جدًا، ولها شكلُ سمكةٍ.

أو، ربما لا تكونُ كذلك. ثم أدخلُ المكانَ

الذي لا يُحتاج فيه للتفكيرِ، أو التذكرِ، أو الرغبة.

حين يصدحُ طائرُ القيقِ الأزرقُ بلغزه،

بصوتهِ الأجشّ، أعودُ.

ولكنني أرجعُ، العتبةُ دائمًا

على مقربةٍ. مرارًا وتكرارًا، مرارًا وتكرارًا. بعدها

أنهضُ. ربما أفركُ وجهيَ كما لو أنني

كنتُ نائمةً. لكنني لم أكن

نائمةً. لقد كنتُ، كما أقولُ، داخلَ

الغيمةِ، أو، ربما، داخل الزنبقةِ الطافيةِ

على الماءِ. ثم أعودُ إلى المدينةِ،

إلى منزلي، وحياتي، التي أصبحتْ

الآنَ أكثرَ إشراقًا وأكثرَ بساطةً، مكان

لم أزره من قبل.

.4

بالطبع كنتُ أعرفُ دائمًا أنك

موجودٌ في الغيوم، وفي شجرة البلّوطِ
التي أعشقها على نحوٍ خاصٍ، وفي أجنحةِ
العصافيرِ. ولكنك موجودٌ
أيضًا في الجسدِ، مستمعًا إلى الجسدِ،
معلمًا إيّاه أن يحيا، بدلًا من كلِّ
ذاك اللمس، ببهجةٍ لا تلامسُ الجسدَ.
نحن لا نفعلُ هذا بسهولةٍ. لقد
عشنا طويلًا في سماءِ اللمسةِ،
ونحن محتفظون بتقلبنا،
بتجسدنا، حتى مع بدءِ
فهمنا للعالم الآخر. ببطءٍ نصلُ
إلى ردةِ فعلنا المناسبة.
ببطءٍ يتحوّلُ التقديرُ
إلى دهشةٍ. وندخلُ إلى حوارِ
حياتنا الذي يعزبُ عن
الفهمِ أو الاستنتاج. إنه لغزٌ.
إنه حبُّ الله. إنه طاعةٌ.

.5

أوه، أطعميني هذا اليوم، أيتها الروحُ المقدسةُ، بشذا
الحقولِ وعذوبة المحيطاتِ التي خلقتها،
وساعديني كي أسمعَ وأمسكَ

بكلِّ وضوحٍ بكلماتِ المسيحِ المتطلبةِ والبارعةِ، حين قال:

اتبعوني.

.6

في كلِّ صيفٍ ترتفعُ الزنبقاتُ

وتفتحُ أياديها البيضاءَ حتى توشكُ أن تغطّيَ

المياهَ الداكنةَ للنبعِ. وأنا أتقدّمُ بالشكرِ ولكنه لا يبدو

كافيًا، لا يبدو بهيجًا بما يكفي، أو مستمرًا بما يكفي، كما

أن اسمَ اللهِ أو كلماتِ الشكرِ لا تتخلله بما يكفي. في كلِّ مكانٍ أذهبُ

إليه أُعاملُ كملكةٍ، وأنا لستُ كذلك. أعطشُ وأمنحُ الماءَ. عيناي تعطشانِ

وأمنحُ الزنبقاتِ البيضاءَ على الماءِ الداكنِ. قلبي يغنّي ولكنَّ آلاتِ الغناءِ

لا تؤدي نصفَ ما تحسُّ به وما تعنيه. في الربيعِ هناك أملٌ،

في الخريفِ التناقصُ الفاتنُ الضروريُّ، في الشتاءِ

يغلبني النعاسُ مثل أيِّ وحشٍ

في مغارته المجللة بأوراقِ الشجرِ، ولكن في الصيفِ هناك

في كلِّ مكانٍ الامتدادُ المضيءُ للعطايا،

سخاءُ الربِّ وإجاباتيَ المنقوصةُ وأنا أبحرُ بجسدي الجميلِ

المؤقتِ في عالمِ زنابقِ الماءِ هذا.

جثسيماني

العشبُ لا ينامُ أبدًا.

أو الورودُ.

ولا الزنبقةُ تمتلكُ عينًا سريةً

تنغلقُ حتى الصباحِ.

قال المسيحُ، انتظروا معي. ولكن الحواريينَ ناموا.

صرصارُ الليل له هَدَبٌ رائعٌ على قدمهِ،

وهو يغنّي، هل لاحظتَ ذلك، بجسدهِ كلِّه،

واللهُ وحده يعلمُ إن كان ينامُ قط.

قال المسيحُ، انتظروا معي. وربما فعلتِ النجومُ ذلك، ربما

شكّلت الريحُ نفسها على هيئةِ شجرةٍ فضيةٍ، ولم تتحرك،

ربما

البحيرةُ البعيدةُ، حيث مشى ذاتَ مرةٍ كما لو كان يمشي

على رصيفٍ أزرق،

قرّتْ ساكنةً وانتظرتْ، متيقظةً تمامًا.

يا للأجساد الحبيبة، الماشية باسترخاءٍ ومغمضة العينين،

التي لم تستطع

البقاءَ متيقظة، كيف لا بد أنهم بكوا،

وهم البشريون تمامًا، مدركين أن هذا أيضًا

لا بدَّ أن يكون جزءًا من الحكاية.

صلاة

لا ينبغي أن تكونَ
سوسنةً زرقاءَ، يمكنها أن تكونَ
أعشابًا في أرضٍ خاويةٍ، أو بضعةَ
أحجارٍ صغيرةٍ؛ فقط
أعرِ انتباهك، ثم ألصقْ

بضعةَ كلماتٍ معًا ولا تحاولْ
أن تجعلها توضحُ، هذه ليستْ
مسابقةً بل مَعْبَرٌ

لإسداءِ الشكرِ، وصمتٌ قد
يتحدثُ عَبْرَه صوتٌ آخر.

ألا يكتب كل شاعر قصيدة عن حب ميؤوس منه؟

الأزهارُ

التي أردتُ أن أمنحها لك،

جامحةً ورطبةً

من الكثبانِ الباليةِ

وما زالتْ تفوحُ منها

رائحةُ ليلةِ الصيفِ،

وما زالتْ تحتفظُ بلحظةٍ أو اثنتينِ

من الصلاةِ الوديعةِ

لصرصارِ الليلِ،

كانتْ ستكونُ

بالغةَ الوسامةِ

في يديك –

سعيدةً جدًا- أتجرأُ بالقولِ –

في يديك –

ومع ذلك فإن ابتسامتك

ما كانتْ لترتسمَ

وربما رميتَ بها

على الأرضِ،

أو ربما، بدافعِ الرقةِ،

ربما أخذتَها

إلى بيتك

ومنحتَها الماءَ

ووضعتَها في ركنٍ معتمٍ

لا يصلُ إليه أحدٌ.

في مسائلِ حبٍّ

كهذا

ثمة أشياءٌ نتوقُ لفعلها

ويجب علينا ألا نُقدِمَ عليها.

لا أريدُ أن أرى ابتسامتك

تختفي.

والأزهارُ، على أي حال،

سعيدةٌ حيث هي،

على الكثبانِ،

فوق العشّ الوديعِ لصرصارِ الليل،

تحتَ السماءِ الزرقاءِ

التي تحبنا جميعًا.

ظمأ

صباحٌ آخرُ وأنا أستيقظُ بظمأ للخير الذي لا أمتلكه. أمشي في الخارج نحو النبع وعلى امتداد الطريق منحنا الله دروسًا بالغة الجمال. يا إلهي، لم أكن أبدًا طالبةً حادةَ الذهنِ بل إنني كنتُ أجنحُ للبطءِ والانكبابِ فوق الكتبِ لأوقاتٍ متأخرة؛ امنحني، برحمتكَ، مزيدًا من الوقت. ثمة حوارٌ طويلٌ يدورُ في قلبي بين حبِّ الأرضِ وحبي لك. مَنْ يمتلك المعرفةَ بما سيجري في نهاية المطاف أو إلى أين سيُبعث بي، وعلى الرغم من ذلك فقد تخليتُ عن عديدٍ من الأشياءِ، متوقعةً أن أُؤمرَ بألا أحملَ شيئًا من متاعي، فيما عدا الصلواتِ، التي، مع هذا الظمأ، صرتُ أتعلّمُها ببطء.

من

قصائد جديدة ومختارة: المجلد الثاني

2005

همهمة

ما تلك الهمهمةُ الغامضةُ بين الورود؟

النحلاتُ ذهبنَ بكل بساطةٍ لارتشافِ الرحيقِ،

هذا كلُّ ما في الأمرِ. ما الذي كنتِ تتوقعين؟ حذلقةً ما؟

إنها مخلوقاتٌ صغيرةٌ وهي

تملأ أجسادهَا بالحلاوةِ، كيف لا تتأوّهُ

من السعادةِ؟ النحلةُ العاملةُ

الصغيرةُ تعيشُ، كما قرأتُ، ثلاثةَ أسابيع.

هل هذه فترة طويلة؟ إنها طويلة بما يكفي، كما أفترضُ،
لإدراك

أن الحياةَ نعمةٌ. لقد عثرتُ عليها – ألم تفعلْ أنتَ ذلك أيضًا؟
-

واقفةً في كؤوس الأزهار، أجنحتُها

ممزقةٌ شيئًا ما – وهي تجدُّ في الطيران حول الأزهار، وإلى
القفير،

ومن ثمَّ إلى الخارج حيثُ العالمُ، وبعد ذلك تعودُ، وربما
ترقصُ،

هل يفترضُ أن تكون المهمة استكشافًا – أيتها النحلةُ الراقصةُ الفاتنةُ.

أظنُّ أنه ما من شيءٍ في هذا العالم لا يثيرُ

إعجابي. وإذا كان ثمة ما هو كذلك، فإنني لا أعرف ما هو. فأنا

لم ألتقِ به بعد. ولا أتوقع حدوث ذلك. النحلةُ صغيرةٌ،

وبما أنني أرتدي النظارات، حتى أتمكن من رؤيةِ حركة السير

وقراءة الكتب، فإن عليَّ

أن أخلعها وأنحني عن قربٍ لأدرسَ و

أفهم ما يحدثُ. الأمر ليس صعبًا، إنه في الحقيقة

باعثٌ على المعرفة مثل أي شيءٍ سبق لي دراستُهُ. إضافةً إلى ذلك، أيضًا،

فهو حبٌّ يوشك أن يكون بالغ الشدة لتحمله، فالنحلة

تندفع هكذا في بلوزةِ

الوردةِ. والشذا، والعسل، وبالطبع الشمس،

الشمس الساطعة النقية، تسطعُ، طوال الوقت، فوقنا جميعًا.

أثر

ها هي ذي قصةٌ

لأكسرَ بها قلبك.

فهل لديك الرغبةُ في ذلك؟

هذا الشتاءُ

جاءتْ طيورُ العقاب البحري إلى مينائنا

وماتتْ هناك، واحدًا بعد الآخر،

لأسبابٍ نجهلها تمامًا.

أخبرني صديقٌ

عن واحدٍ منها على الشاطئ

رفعَ رأسَهُ وفتحَ

المنقارَ الأنيقَ وأطلقَ صرختَهُ

المنبعثةَ من عذوبةِ وحلوِ مذاقِ حياتِه

تلك الصرخة التي، إذا ما كنتَ قد سمعتَها،

فأنتَ تدركُ أنها شيءٌ مقدسٌ،

ولأجل ذلك، إذا لم تكنْ قد سمعتَها،

فلربما ينبغي عليك الإسراعُ إلى حيثُ

لا زالت تغنّي.

وصدّقني، لا تخبرْ أحدًا

بمكان وجودها.

في الصباح التالي

هذا العقابُ البحريُّ، المرقّطُ

المتقزّحُ اللونِ الذي كان يخططُ

للطيرانِ إلى وطنه

إلى بحيرةٍ مخفيّةٍ عن الأنظارِ،

كان ميتًا على الشاطئ.

أخبركَ بهذا الأمر

لأكسرَ قلبك،

وما أقصدُهُ بذلك هو فقط

أن يُفتحَ قلبكَ وألّا يُغلقَ مرةً أخرى أبدًا

إزاءَ كل ما يضمُّه العالمُ من مخلوقاتٍ وكائنات.

البلشون الأبيض يحلق فوق بلاك وواتر

أتساءلُ

ما ذاك الشيءُ

الذي سأنجزه

اليومَ

إن كنتُ سأنجزُ أيَّ شيءٍ

يمكن أن تُطلقَ عليه

تلك الكلمةُ الرائعةُ،

لن يكونَ

ما أقومُ به من عملٍ،

وهو محضُ رصفِ

الكلماتِ على الصفحة،

قلمُ الرصاصِ

بترددٍ يوقظُ

نورَ العالمِ،

ومع ذلك فما من شيءٍ يظهرُ على الصفحةِ

له نصفُ إشراقِ

ما يصدرُ عن الطائرِ المحاكي

من تدفقِ أصواتٍ بهيجٍ

في الشجيرةِ التي لم تنبتْ أوراقُها بعدُ

في باحةِ الكنيسة –

أو البلشونُ الأبيضُ

محلقًا

فوق الأرضِ السبخةِ

والعتمةِ،

عيناه الصفراوان

وجناحاه العريضان يرتديان

نورَ العالمِ

في نورِ العالمِ –

آه أجل، إنني أراه.

إنه على نحوٍ دقيقٍ

القصيدةُ

التي أردتُ كتابتها.

الشاعر ممسكًا بوجهه بين يديه

تريدُ أن تبكي بصوتٍ عالٍ بسبب

أخطائك. ولكن لأقول لك الحقيقةَ فإن العالمَ

لم يعد بحاجةٍ لمزيدٍ من ذلك الصوت.

لذا إن كنتَ ستبكي ولم تستطعْ

أن تمنعَ نفسك، إن لم يستطعْ فمُك الجميلُ

كبحَهُ، فعلى الأقلِّ اذهبْ وحدكَ عَبْرَ

الحقولِ الأربعين والمنحدرات الأربعين المعتمة

من الصخور والمياه إلى حيث

تدفعُ الشلالاتُ بأوراقها البيضاءِ

في جنونٍ، وثمة كهفٌ وراءَ كلِّ ذلك

الابتهاج واللهو بالماء حيث تستطيعُ

أن تقفَ هناك، تحته، وأن تجأرَ

بكلِّ ما تريدُ ولن يتم إزعاجُ شيءٍ؛ تستطيعُ
أن تقطرَ باليأسِ طوال الأصيل وسيبقى،
فوق غصن آخضر، وقد مُسَّ جناحاه بخفةٍ

بسقوطِ المياه، طائرُ السمنة المغردُ،
نافخًا صدرَهُ المرقّطَ، وسيغنّي
عن الجمال المكتمل الصلب لكلِّ شيء.

جامحًا، جامحًا

هذا هو جوهرُ الحبِّ:

شجيرةُ الوردِ الجافةُ التي أغفلها البستانيُّ، إبّان تشذيبه للشجيرات،

تبرعمُ أزهارُها فجأةً.

جنونٌ من البهجةِ؛ هوسٌ.

موهبةٌ قدسيةٌ، بكلِّ تأكيد.

ولكنها غالبًا، ويا للأسف، بعيدةُ الاحتمال.

لماذا لم يقنع روميو بشخصٍ آخر؟

لماذا لم يكن بوسع تريستان وإيزولدا أن يرفضا

الكأسَ الملتمعةَ

التي كان من الممكن أن تدعَ كاملَ المملكةِ في سلام؟

جامحًا يغنّي طائرُ القلبِ في غابات حيواتنا.

مرارًا وتكرارًا، لا يعلمُ فاوست، وهو واقفٌ في الحديقة،

أي شيءٍ مما سيحدثُ، إنه يرى فحسبُ

وجهَ مارغريت، الذي لا يمكنُ مقاومته.

وجامحًا، جامحًا يغنّي القلب.

من

السوسنة الزرقاء

2004

التمدد فوق العشب بالقرب من بلاك وواتر

أفكرُ أحيانًا في الفتنةِ المحتملةِ للموتِ –

أنه قد يكونُ من الرائعِ كونك

ضائعًا وسعيدًا داخل العشبِ الأخضرِ –

أو أن تكونَ العشبَ الأخضرَ –

أو، ربما الوردةَ الزهريةَ، أو السوسنةَ الزرقاءَ،

أو الأقحوانةَ الدمثةَ، أو الكرمةَ الملتفةَ

شاقةً طريقها صوبَ السماءِ – أنه قد يكونُ مما يبعثُ على السلامِ التامِّ

أن تكونَ البحيرةَ الملتمعةَ، أو النهرَ المتدفقَ الفتيَّ،

أو الاكتافَ المعتمةَ للأشجارِ

حيث يبكي طائرُ السمنةِ المغردُ كلَّ ليلةٍ حدَّ الانتشاءِ.

أستلقي في حقولِ أزهارِ عصا الذهبِ، وما هو أبديٌّ.

فمن يستطيعُ العثورَ عليَّ؟

أفكاري تتبسّطُ. لم أفعلْ آلافَ الأشياءِ

أو مئاتِ الأشياءِ لكن، ربما، فعلتُ القليلَ.

أما بشأنِ التساؤلِ حولَ الأجوبةِ التي لا تتوفرُ إلا

في الكتبِ، رغم أنني طوالَ طفولتي كنتُ أُرسلُ إلى هناك

للعثور عليها، فإنني قد تعلمتُ

أن أتركَ كلَّ ذلك ورائي

كما في الصيفِ أنزعُ حذائي وجواربي،

معطفي، قبعتي، وأمضي

أكثرَ سعادةً، عَبْرَ الحقول. العصفورُ الصغيرُ

ذو المنقارِ الزهري

ينادي، مرارًا وتكرارًا، بكل بساطةٍ – ليس عليك

بل على العالمِ أجمع. طوالَ الأصيلِ

أصبحُ أكثرَ حكمةً، مستمعةً إليه،

ذلك الصديق الرقيق، الصغير، الذي لا اسمَ له فوق قمةِ
إحدى الأعشابِ،

مستمتعًا بحياته. إذا كنتَ تستطيعُ الغناءَ، غنِّ. فإن لم
تستطع،

فحتى الصمتَ يمكن أن يكونَ، بالنسبةِ للعالمِ، كالسعادة،

كالثناءِ،

من حوضِ الظلالِ الذي عثرتَ عليه تحت ما هو أبديّ.

الصباح في بلاك وواتر

إنه الفجرُ الوشيكُ

وأشباهُ المعجزاتِ المعتادةِ تبدأُ

داخلَ جسدي مع دخولِ الضوءِ

من بواباتِ الشرقِ وتسلّقِهِ

لحقولِ السماءِ، والطيورُ ترفعُ رؤوسَها

من الأغصانِ وتَشْرَعُ في الغناءِ؛ والحشراتُ أيضًا،

وأوراقُ الشجرِ المخشخشةُ، وحتى

أكثرُ أشياءِ الأرضِ ألفةً، العشبُ،

لا يستطيعُ أن يدعَ صباحًا آخرَ يمرُّ دون

أن يُدلي بتعبيرٍ ما عن البهجةِ، متنفسًا بنعومةٍ

مع عسل أجساده الخضراءِ؛ والبراعم البيضاءُ

لصريمة الجدي النابتة في الأرض السبخة، متأرجحةً حيث

يكادُ يلتقي الممرُّ ونبعُ الماءِ،

تنفضُ عن طوايا أجسادها

سعادةً بالغةً تدلفُ إلى الهواءِ عطرًا،

أولُّ براهين النهار الشاحبة الأنيقة.

والآلهة القديمة كانت تحبُّ، كما يُقالُ،

العبقَ العذبَ للصلاة.

كيف ستعيش حينها؟

ماذا لو أنَّ مائةً من طيورِ الغروسبيك زهريةِ الصدرِ

طارتْ في دوائرَ حول رأسك؟ ماذا لو أنَّ

الطائرَ المحاكي دخلَ إلى البيتِ برفقتك وأصبحَ

مرشدًا لك؟ ماذا لو

أنَّ النحلَ ملأ جدرانك بالعسلِ وكلُّ ما

تحتاج لفعله هو أنْ تطلبه منه ليملأ وعاءَك؟

ماذا لو أنَّ الغديرَ انحدر أدنى التلِّ

بالقربِ من نافذة غرفتك حتى تستطيعَ الاستماعَ

إلى صلواتهِ البطيئةِ حين تغطُّ في النوم؟ ماذا لو أنَّ

النجومَ بدأتْ في المناداة بأسمائها، أو لو أنها ركضتْ

صوبَ هذه الجهة وتلك الجهة فوقَ الغيوم؟

ماذا لو

أنك رسمتَ لوحةً لشجرةٍ، لتبدأ في الحفيفِ،

وليشرعَ طائرٌ ما في الغناءِ مبتهجًا

من فوق أغصانها المرسومة؟ ماذا لو أنك فجأةً رأيتَ

أنَّ فضةَ الماءِ كانتْ أكثرَ وهجًا من فضةِ المال؟

ماذا لو أنكَ في نهايةِ الأمرِ رأيتَ

أنَّ أزهارَ عبّادِ الشمسِ، التي تتّجه صوبَ الشمسِ طوالَ النهارِ

وكلَّ يومٍ – من يعرفُ كيفَ، ولكنها تفعلُ ذلك – كانتْ

أثمنَ، وذاتَ دلالةٍ أكبرَ من الذهب؟

من

لماذا أستيقظ مبكرة

2004

لماذا أستيقظ مبكرة

مرحبًا، أيتها الشمسُ التي ترسلُ أشعتَهَا في وجهي.
مرحبًا، أنتَ من تصنعينَ الصباحَ
وتنشرينه فوقَ الحقولِ
وفي وجوهِ أزهارِ الخزامى
وبهاءاتِ الصباحِ المومئِةِ،
وحتى في نوافذِ
الأشقياءِ ومن لا يكبحونَ جماحَ أنفسهم –

يا أفضلَ الوعّاظِ على الإطلاقِ،
عزيزتيَ النجمةُ، التي صادفَ
أن تكوني حيثُ أنتِ في الكونِ
لتحمينا من العتمةِ الأبديةِ،
لكي تخففي عنّا بلمستكِ الدافئةِ،
لكي تمسكي بنا في يدَيْ الضوءِ العظيمتينِ –
صباح الخير، صباح الخير، صباح الخير.

راقبي الآنَ، كيف أبدأُ النهارَ
بمنتهى السعادةِ، بمنتهى اللطف.

يَقِظة

كل يومٍ
أرى أو أسمعُ
شيئًا ما
يوشكُ أنْ

يميتني
من البهجةِ،
ويتركني
مثلَ إبرةٍ

في كومةٍ
من الضياءِ.
هذا ما وُلدتُ لأجلهِ-
أن أنظرَ، أن أستمعَ،

أن أضيعَ ذاتيَ
داخلَ هذا العالمِ الغضِّ-
أن أعلّم نفسي

مرارًا وتكرارًا

في السعادةِ،

والابتهاجِ.

ولستُ أتحدّثُ

عمّا هو استثنائي،

أو مخيفٌ، أو مروِّعٌ،

أو ما هو مفرطٌ-

بل عن العاديِّ،

والمألوفِ، والرتيبِ،

التمظهراتِ اليوميةِ.

أوه، أيتها الطالبةُ المجدةُ،

أقولُ لنفسي،

كيف تستطيعين

ألا تكتسبي الحكمةَ

مع دروسٍ

مثل هذه –

الضوء غير المحدودِ

للعالمِ،

التماع المحيطِ،

الصلوات المجبولة

من العشب؟

أقحوانات

من الممكنِ، كما أفترضُ، أننا أحيانًا
سنعرفُ كلَّ ما يمكنُ معرفتَهُ:
ماهيةَ العالمِ، على سبيلِ المثالِ،
وما يعنيه. أفكّرُ في هذا الأمرِ أثناءَ عبوري
من حقلٍ إلى آخرَ، في الصيف، والطائر المحاكي
يحاكيني، كشخصٍ لديه
ما يكفي من المعرفةِ أو أنه يعرفُ ما يكفي
ليكونَ راضيًا تمامًا بعدمِ المعرفة. ولأن مبعثَ الأغنيةِ هو
البحثُ
فإنه يعرفُ هذا الأمر: ينبغي عليه أن يلزمَ الصمتَ
لو أنه فجأةً أُمطِرَ بالأجوبةِ. وبدلًا من ذلكَ

أوه استمعْ إلى شدوهِ الجامحِ اللاذعِ الهشِّ الذي ينقطعُ دون
أن يجيبه أحدٌ. عند قدميَّ تعرضُ الأقحواناتُ ذاتُ البتلاتِ
البيضاءِ
الشموسَ الصغيرةَ في منتصفِها – عنيتُ، إن لم يكن لديكَ
مانعٌ في قولي ذلك، قلوبَها. بالطبعِ
قد أكونُ مخطئةً، ربما تكون قلوبُها شاحبةً وَ
وهزيلةً ومخبّأةً في جذورِها. ما الذي أعرفُه.
سوى هذا: إنها الجنةُ ذاتُها بأنْ تأخذَ ما يُمنح لكَ،

أن ترى ما هو بسيطٌ؛ ما تضيئُهُ الشمسُ
عن طيبِ خاطرٍ؛ على سبيلِ المثالِ – أفكّرُ في هذا الأمرِ
وأنا أنحني، ليس لقطفِ بل لمحضِ مسّ
ملاءَمة الحقلِ للزنابقِ، والزنابقَ
للحقل.

شعراء الصين القدامى

حيثما كنتُ، يسعى العالمُ باحثًا عنّي.

إنه يقدّم لي ما يكتنزُ بهِ، فهو لا يؤمنُ

أنني غير راغبةٍ فيه. الآنَ أفهمُ

لماذا ذهبَ شعراءُ الصينِ القدامى بعيدًا وعاليًا

في الجبالِ، ثم انسلّوا بعد ذلك في الضبابِ الشاحب.

أوز الثلج

أوه، أن تحبَّ ما هو جميلٌ، وما لن يدوم!

يا لها من مهمةٍ

يمكن طلبُها

من أيِّ شيءٍ، أو أي أحدٍ،

ومع ذلك فهي موكلةٌ لنا،

وليس ذلك بحسابِ القرونِ أو السنينِ، بل بحسابِ الساعات.

في أحدِ أيامِ الخريفِ سمعتُ

فوقي، وفوق لسعةِ الريحِ، صوتًا

لم أعرفه، فسمقتْ عيناىَ إلى الأعلى؛ كانَ

سربًا من أوزِّ الثلجِ، يضربُ بأجنحتِهِ

أسرعَ مما اعتدنا رؤيته من الأوزِّ،

ولأنها كانتْ في مثل بياضِ الثلجِ، فإنها

وقد انعكستْ عليها أشعةُ الشمسِ

اصطبغتْ بلونِ الذهبِ. فما كان مني

إلا أن حبست أنفاسي

كما نفعل

أحيانًا

لنوقفَ الزمنَ

حين يمسُّنا

شيءٌ جميلٌ

كما مع عودِ ثقابٍ

مُوْقَدٍ، ومُشِعٍّ،

ولكنه لا يؤلمُ

بالطريقةِ المعتادةِ،

بل بطريقةٍ مبهجةٍ،

كما لو أنَّ البهجةَ

كانت أكثرَ ما أحسستُ بهِ

من الأشياءِ أهميةً قطُّ.

واصلَ الأوزُّ

تحليقَهُ.

ولم أره مرةً أخرى أبدًا.

ربما سأفعلُ، يومًا ما، في مكانٍ ما.

ربما لن أفعل.

لم يعدِ الأمرُ مهمًا.

ما يهمُّ

هو أنني، حين شاهدتُهُ،

فإنني قد فعلتُ ذلك

كما لو من وراءِ ستارٍ، بسريةٍ، وببهجةٍ، وبوضوح.

أين يبدأ المعبد، أين ينتهي؟

ثمةَ أشياءُ لا تستطيعُ الوصولَ إليها. ولكنك

تستطيعُ التواصلَ معها، وطوالَ اليوم.

الريحُ، الطائرُ المحلّقُ بعيدًا. فكرةُ الله.

ويمكن لذلك أن يشغلكَ مثل أي شيءٍ آخرَ، ويجعلك أكثرَ
سعادةً.

الثعبانُ ينسلُّ مبتعدًا؛ السمكةُ تقفزُ، مثل زنبقةٍ صغيرةٍ،

خارجةٍ من الماءِ وعائدةٍ إليه؛ الحساسينُ تغنّي

من أقاصي أغصانِ الشجر.

أنظرُ؛ صباحًا ومساءً لا أفرغُ أبدًا من النظرِ.

ولا أعني بالنظرِ مجردَ الوقوفِ في المكانِ،

بل الوقوفَ في المكانِ

كما لو بذراعينِ مفتوحتينِ.

وأن أفكّرَ: ربما سيأتي شيءٌ ما، شيءٌ

من الاضطرابِ الملتفِّ من الريحِ،

أو بضعةُ أوراقٍ من أيِّ شجرةٍ عتيقةٍ –

فجميعها في هذا الأمرِ أيضًا.

والآنَ سأخبركَ بالحقيقةِ.

كلُّ شيءٍ في العالمِ

يأتي.

على الأقلِّ، أقربَ.

وبشكلٍ أكثرَ ودًا.

مثل السمكةِ ذاتِ العينين المبهرجتينِ التي تقضمُ الطعامَ؛ الأفعى

التي لا تنعقدُ على هيئةِ أنشوطةٍ.

مثل الحساسينِ، دمى الذهبِ الصغيرةِ

التي تخفقُ أجنحتُها عند ركن السماءِ

عن اللهِ، والهواءِ الأزرق.

ما إن أشار التقويم إلى بدء الصيف

خرجتُ من المدرسةِ مسرعةً

وعبرتُ الحدائقَ وصولاً إلى الغابةِ،

وأمضيتُ الصيفَ كله محاولةً نسيانَ ما علّموني إيّاه-

حاصلَ ضرب العدد اثنين في نفسه، والاجتهادَ، وما إلى ذلك،

كيف أكونُ متواضعةً وصالحةً، وكيف أحققُ النجاحَ وما إلى ذلك،

الآلاتِ والزيتَ والبلاستيكَ والمالَ وما إلى ذلك.

بحلول الخريف تعافيتُ شيئًا ما، ولكنني دُعيتُ مرة أخرى

إلى الغرف الملأى بالطباشير والمناضد، للجلوسِ وتذكرِ

كيف استمرَّ النهرُ في دحرجةِ الحصى،

كيف كانت طيورُ النمنمة تغنّي رغمَ أنها لم تكن

تمتلك شروى نقيرٍ في المصرفِ،

كيف كانت الأزهارُ لا ترتدي شيئًا سوى الضياء.

أكثر الصباحات رقة

مرحبًا يا أكثرَ الصباحاتِ رقةً.
وما الذي ستفعلُهُ اليومَ، أتساءلُ، بقلبي؟
وكم من العسلِ بوسعِ القلبِ احتمالُهُ، أتساءلُ،
قبلَ أن ينفطرَ؟

هذا أمرٌ تافهٌ، أو أنه لا شيءَ: ثمة حلزون
تتسلّقُ تعريشةً من الأوراقِ
والأبواقِ الزرقاءِ لأزهارها.

ما من شكٍ في أن الساعاتِ تتكتكُ بصوتٍ عالٍ
في كلِّ أرجاءِ العالم.
إنني لا أسمعُهَا. قرنا أُنثى الحلزونِ الشاحبانِ
يمتدّانِ ويلوّحانِ صوبَ هذه الجهةِ وتلك الجهةِ
في حين يتقدّمُ جسدُهَا الأشبهُ بالأصبعِ إلى الأمامِ، تاركًا وراءَهُ
المسارَ الفضيَّ للعابِها.
يا أكثرَ الصباحاتِ رقةً، كيف لي أن أفسدَ ذلك؟
كيف لي أن أبتعدَ عن الحلزون، وعن الأزهار؟
كيف لي أن أمضي قدمًا، مع حياتي المستبطَنة والطموحةَ؟

حمل الثعبان إلى الحديقة

في القبو

كان يقبعُ أصغرُ

ما وقعتْ عليه عيناي من الثعابين.

كان يلتفُّ على نفسِهِ

في أحدِ الأركانِ

ويراقبني

بعينينِ

مثل نجمتينِ صغيرتينِ

تتوقّدانِ كالفحمِ،

وبذيلٍ

كان يرتجفُ.

خطوتُ خطوةً واحدةً

فما كان منه إلا أن فرَّ

مثل خيطِ حذاءٍ راكضٍ،

ولكنني ثنيتُ رسغي قليلاً

فإذا بهِ

في يدي.

كنتُ أشعرُ بالأسفِ

للخوفِ الذي أثرتُه،

لذا ركضتُ

إلى الأعلى وخرجتُ من بابِ المطبخِ

إلى العشبِ الدافئِ

وضوءِ الشمسِ

والحديقةِ.

ظلَّ يدورُ ويدورُ

في يدي

ولكنني حين وضعتُهُ على الأرضِ

لم يتحركْ.

ظننتُ

أنه سينسابُ متسللاً

متسلقًا ساقيَ

ليقرَّ في جيبي.

ظننتُ، لوهلةٍ،

حين رفعَ وجهَهُ،

أنه كان سيغنّي.

حين ذاك اختفى.

من

بومات وخيالات جامحة أخرى

2003

كاتبيرد

ينتقي نبعَهُ، والدغلَ الرقيقَ لعالمِهِ.

يدعو أنثاه للمجيءِ، وهو ما تفعلُهُ،

مغازلةً إيّاه بذيلها.

يبدأ في الصباحِ الباكرِ، ويؤلّفُ أغنيتَهُ وهو ماضٍ في شأنِهِ.

لا يدخلُ منزلاً في الليلِ، أو حين تمطرُ.

لا يخافُ الريحَ، رغمَ أنه حذِرٌ.

يراقبُ الأفعى، ذاك الشريط من النار السوداء،

إلى أن تغيبَ مبتعدةً.

يراقبُ أنثى الصقر بساقيها الحادّينِ، عاليةً في الشجرة السامقة.

يحتفظ بصلواتهِ تحت لسانه.

طوال حياته لم تفته إشراقةُ الشمسِ أبدًا.

لا يحبُّ الثلجَ.

ولكنَّ حفنةً من الزبيب تمنحه بهجةً عظيمةً.

يجلسُ في ناصية شجرة الليلك، أو يتبخترُ في ظلالها.

هو ليس السقساق النادر أو الدرسة الرائع

بل إنه مألوفٌ مثل العشب.

الغطاءُ الأسودُ لرأسه يمنحه هيئةً أنيقةً، تعوّدنا نحنُ البشرُ

منها أن نُميلَ قبعاتنا من الحسد.

حين لا يغنّي، فإنه يستمعُ.

ولم يسبق لي أن رأيته مغمضًا عينيه قطُّ.

ورغم أنه قد لا ينظرُ إلى شيءٍ سوى سحابةٍ

فإن ذلك يجلبُ إلى عقله ملاحظاتٍ كثيرةً جدًا.

من غصنٍ إلى آخرَ، أو عَبْرَ المسلك،

فإنه يسحرُ بتحليقه.

وبما أنني أراه كلَّ صباحٍ، فقد كافأتُ نفسي

بمتعةِ الظن أنه يعرفني.

ورغم ذلك فإنه لم يستجبْ مرةً واحدةً لإيماءتي.

ويبدو، في حقيقة الأمر، أنه يجد فيَّ شيئًا من التسلية،

فأنا ضخمةٌ جدًا، غيرُ واثقةٍ وغريبة.

أنا التي تأتي وتذهبُ،

ومن يدري لماذا.

هل سأتمكنُ من فهمه؟

بالتأكيد لن يستطيعَ هو فهمي، أو فهمَ العالمِ الذي أجيءُ منه.

لأنه لن يغنّي أبدًا لمملكةِ الدولارات.

ولأن الجيوبَ لن تنمو في جناحيهِ الرماديينِ.

من

ما الذي نعرفه؟

2002

الغواص السامك

لم تصبحِ الرابعةُ صباحًا بعدُ، حين تستلني نشوةُ
كوني حيةً
من النومِ، فأنهضُ
من الفراشِ الوثيرِ وأذهبُ
إلى غرفةٍ أخرى، حيث كتبي مصطفةٌ
في رفوفها المرتبة الزاهية الألوان. لَكَم

تبدو مفعمةً بالسحرِ! أختارُ واحدًا منها
وأفتحُهُ. وسريعًا
أكونُ قد هِمتُ فوق أمواجِ الكلماتِ
وصولاً إلى معبدِ الفكر.

وحينها أسمعُ
في الخارج، فوقَ الأمواجِ الحقيقيةِ، الصوتَ الصغيرَ،
المتقنَ للغواصِ السامكِ. هو أيضًا مستيقظٌ،

ومع رأسه الثقيل مرفوعًا ينادي

القمرَ الشاحبَ، والدفقةَ الزهريةَ

المتزايدةَ جهة المشرق، التي عمّا قليلٍ،

ستصبحُ النهارَ المعتدلَ الطويل.

في داخل المنزلِ

لا يزالُ الظلامُ مخيمًا، فيما عدا بقعةِ الضوءِ

التي أجلسُ فيها.

لا أغلقُ الكتابَ.

كما، ولمدةٍ طويلةٍ من الوقتِ، لا أقرأُ شيئًا.

السوسنة الزرقاء

الآن وقد أصبحتُ حرةً لأكونَ نفسي، فمن أنا؟

لا أستطيعُ الطيرانَ، لا أستطيعُ الركضَ، وانظروا كيف أمشي ببطءٍ.

حسنًا، أحسبُ أن باستطاعتي قراءةَ الكتبِ.

«ما ذاك الشيءُ الذي أنت عاكفةٌ عليه؟»
تصرخُ الذبابةُ ذاتُ الرأسِ الأخضرِ وهي تطنُّ عابرةً بي.

أغلقُ الكتابَ.

حسنًا، أستطيعُ كتابة كلماتٍ، مثل هذه، بتؤدةٍ.

«ما ذاك الشيءُ الذي أنتِ عاكفةٌ عليه؟» تهمسُ الريحُ،
وهي تقف متحشدّةً خارج النافذة.

امنحني قليلًا من الوقتِ، أردُّ قائلةً لوجهها الفضي المحدّق.

الأمرُ لا يحدثُ على حين غرةٍ، كما تعرفين.

«حقًا؟» تقولُ الريحُ، وتهبُّ مقتحمةً، ومطلقةً جوهرَ السوسنةِ الزرقاءِ.

فما يكون من قلبي إلا أن يُصابَ بالهلعِ، في حين أتوقُ لأن أكونَ،
الوعاءَ الفارغَ المنتظرَ النقيَّ الذي ألجمَهُ الصمت.

أحجار

الحجارةُ البيضاءُ كانت جبالاً، وبعد ذلك جدّتْ في الرحيلِ.

الحجارةُ الزهريةُ أيضًا كانتْ قبل ذلك جزءًا من الجبلِ

جمعَهُ لسانُ النهرِ الجليدي.

وها هي الآن تمكثُ مطمئنةً تحتَ الأمواج.

الأحجارُ الخضراءُ أجملُ من الأحجارِ الزرقاءِ، ظننتُ لوهلةٍ،

ثم عدلتُ عن رأيي.

الحجارةُ التي وُلِدتْ من الرواسبِ تُنبئُ عما طفا من نزيزٍ ما
حمله نهرُ الجليدِ.

الحجارةُ التي وُلدت من النارِ تضمُّ نجومًا داخل أجسادِها،

ودُررًا من المروِ الأبيضِ.

كما أنني معجبةٌ بثقلها ودائريتها

وهي مستلقيةٌ دون سواعدَ أو كواحلَ تحت الماءِ.

كما أنني أتخيّلُ كيف تمكثُ هادئةً طوالَ الليلِ

تحتَ القمرِ وتحتَ كلِّ ما قد يعبرُ

فوقها – لنقلْ، الزنبقةَ الطافيةَ لمالك الحزين المحلّقِ في الليلِ.

كما أنه من الواضحِ أيضًا كيف تستلقي مسترخيةً

تحت سلالمِ الشمسِ الذهبيةِ.

وكلٌّ واحدةٍ منها عربةٌ بطيئةٌ.

كلُّ واحدةٍ منها كنيسةٌ صغيرةٌ، مقفلةٌ بإحكامٍ.

كلُّ واحدةٍ منها كاملةٌ – ولكن ما مِنْ واحدةٍ منها جاهزةٌ بعدُ

لتأتي إلى الحديقةِ، لتزرعَ الذرةَ

أو بصيلةَ السوسن.

لو أنني عشتُ على البرِّ فسأرغبُ في أخذ واحدةٍ منها

أو اثنتيِن إلى المنزلِ معي

فقط لأنظر إليها في الحياة الطويلة للغبارِ والعشبِ،

ولكنني أتمنى ألا أفعلَ ذلك.

أتمنى ألا آخذَ حتى واحدةً منها مثلَ

بذرةٍ من وجهِ زهرةِ عبّادِ الشمس،

مثل بيضةِ نملٍ بيضاءَ من الموئلِ الدافئِ تحتَ التلِّ.

أتمنى أن أدعها وشأنها، في التوازنِ المثاليِّ للأشياءِ،

في جسدِ البحرِ الشفيف.

من

ورقة الشجر والغيمة

2000

وهج

.1

مرحبًا بك إلى القصيدة المطمئنة، الحمقاء.

إنها ليست شروقَ الشمسِ،

التي هي غسولٌ أحمرُ،

يتوهجُ على امتداد جهة الشرق من السماء؛

إنها ليستِ المطرَ المتهاطلَ من حقيبةِ اللهِ؛

إنها ليستِ الخوذةَ الزرقاءَ للسماءِ بعد ذلك،

أو الأشجارَ، أو الخنفساءَ التي تحفرُ في الترابِ؛

إنها ليستِ الطائرَ المحاكي الذي، بإيقاعهِ الخاصّ،

سيمضي في أزيزه وصفقه بجناحيه

من فوق أغصان شجرة الكاتلبا المثقلة بالبراعم،

التي تنتفخُ وتلتمعُ،

التي تهتزُّ في الريحِ.

2.

ما زلت تتذكرين، أحيانًا، الحظيرةَ القديمةَ في مزرعة جدك، ذاك المكان الذي زرتِهِ ذات مرةٍ، ودخلتِ فيه، وحدك، في حين كان الكبار يجلسون ويتبادلون الأحاديثَ في المنزل.

كانت خاويةً، أو شبه خاويةٍ. وكان ثمة حِزَمٌ من التبن تغطي الأرضَ، وثمة دبابيرٌ تغنّي لدى النافذة، وربما كان هناك طائر غريب يرفرفُ في الأعالي، منزعجًا، رافعًا صوته شيئًا ما ومحدّقًا إلى الأسفل من حافة قذرة بعينين ثاقبتين جامحتين.

غير أن ما كان غالبًا هي رائحةُ الحليب، وصبرُ الحيوانات؛ عطايا الجسد كانتْ ما تزال في الهواءِ، أمونيا غامضةٌ، ليست كريهة.

غير أن ما كان غالبًا هو أنها كانت هادئةً وسريّةً، السقف مرتفع ومقوّس، والألواح غير مطلية بالدهان وبسيطة.

كان يمكن أن تبقي هناك إلى الأبد، طفلةً صغيرة في أحد الأركان، فوق آخر كومة من التبن، وقد تملّكتكِ الدهشةُ من المكان الذي بدا خاويًا، ولكنه لم يكن كذلك.

بعد ذلك – ما زلت تتذكرين – شعرتِ بطَرْقِ الجوع – كان الوقتُ ظهرًا – فعدتِ من حلم الغسق ذاك وقفلتِ راجعةً إلى المنزل، حيث كانت المائدة معدّةً، حيث ربّتَ عمٌّ لك على كتفك مرحبًا بك، وكان ثمة مكانٌ لكِ على المائدة.

.3

لا شيءَ يدومُ.

ثمة قبرٌ يقرُّ فيه كل ما أتحدّثُ عنه الآن.

وقفتُ هناك ذات مرةٍ، فوق العشبِ،

مبعثرةً الأزهارَ.

.4

ما من شيءٍ أكثرُ رقةً أو معلّقٌ بدقةٍ

مثل جناحَي

العثةِ الخضراءِ

قبالةَ المصباحِ

قبالةَ الحرارةِ

قبالةَ منقارِ الغرابِ

في الصباحِ الباكرِ.

ورغم ذلك فإن العثةَ تمتلك زخرفةً، وعزمًا،

دونما قطرةٍ واحدةٍ

من الشفقةِ على الذات.

ليس في هذا العالم.

.5

أمي

كانتِ الوستاريا الزرقاءَ

أمي

كانتِ النبعَ المليءَ بالطحالبِ وراءَ البيتِ،

أمي، وأسفاه، وأسفاه،

لم تكن دائمًا تحبُّ حياتها،

أثقلَ من الحديدِ كانتْ

وهي تحملها في ذراعيها، من غرفةٍ إلى غرفةٍ،

أوه، أنّى لي أن أنساها!

أدفنُها

في صندوقٍ

في الترابِ

وأنصرفُ عنها.

أبي

كان شيطانًا من الأحلام المحبَطة،

كان غيرَ جديرٍ بالثقةِ،

كان صبيًا فقيرًا هزيلاً سيءَ الحظ.

لقد اتبّع الإلهَ، حيثُ لم يكن هناك من أحدٍ آخرَ

يستطيعُ الحديثَ إليهِ؛

كان يختالُ أمام الله، حيثُ لم يكن هناك من أحدٍ آخرَ

يستمعُ إليه.

استمعْ،

هذه كانت حياته.

أدسُّها في التراب.

أكنسُ الخزائن.

أغادرُ البيت.

.6

أذكرهما الآن،

لن أذكرهما مرةً أخرى.

ليس ذلك بسبب الافتقار إلى الحبِّ

ولا الافتقار إلى الحزن.

ولكنني لن أحمل ما كانا يحملانه من الحديد.

أمنحهما – واحد، أثنان، ثلاثة، أربعة – قبلة المجاملة،

للشكر العذب، للغضب، للأمنيات الطيبة في عمق الأرض.

أتمنى لهما نومًا هانئًا. أتمنى لهما أن يرقّا.

ولكنني لن أمنحهما قبلةَ التواطؤ.

لن أمنحهما المسؤوليةَ عن حياتي.

.7

هل كنتَ تعرفُ أن للنملةِ لسانًا

تجمعُ به كلَّ ما تستطيعُهُ

من العذوبةِ؟

هل كنتَ تعرفُ ذلك؟

.8

القصيدةُ ليست العالمَ.

إنها ليستْ حتى الصفحةَ الأولى من العالم.

غير أن القصيدةَ تريدُ أن تبرعمَ، مثل زهرةٍ.

هذا هو كل ما تملكُهُ من المعرفة.

تريدُ أن تفتحَ نفسها،

مثل بابِ معبدٍ صغيرٍ،

ليتاحَ لكَ أن تدلفَ إلى داخلها وتشعرَ

بالراحةِ والانتعاشِ،

وليطغى شعورُكَ على أنك جزءٌ مما حولكَ

على شعورِك بذاتك.

.9

صوتُ الطفلِ الباكي من فم المرأة البالغة

هو بؤسٌ وخيبةُ أملٍ.

صوتُ الطفلِ المنتحبِ الصادرِ من الرجلِ القويِّ،

الطويلِ، الملتحي

هو بؤسٌ ورعب.

.10

لذا، أخبِرني:

ما الذي سيثيرُ اهتمامَك؟

ما الذي سيفتحُ حقولَ ذهنكَ المعتمةَ،

مثلَ عاشقٍ

حين اللمسةِ الأولى؟

.11

على أيِّ حالٍ،

لم تكن هناك حظيرةٌ.

لم تكن هناك طفلةٌ في الحظيرةِ.

لا عمَّ لا مائدةَ لا مطبخَ.

لم يكن هناك سوى حقلٍ طويلٍ رائعٍ مليءٍ بالطيورِ المراحة.

.12

حين تأتي الوحدةُ مطاردةً إياكِ، اذهبي إلى الحقول، فكري

في تناسق العالم. لاحظي

شيئًا لم تلاحظيه من قبلُ،

مثل صوتِ التامبورين الذي يُصدره صرصارُ الثلجِ

الذي لا يزيد طوله عن طول إبهامك.

حدّقي مليًّا في الطائر الطنّان، في مطرِ الصيفِ،

وهو ينفض جواهر الماء عن جناحيه.

لتكن المرارة شقيقتك، وهي ستكون كذلك سواء أفعلتِ ذلك أم لم.

انهضي من جذل الحزن، وكوني خضراء أيضًا،

مثل الأوراق التي لا تكلُّ.

إنَّ حياةً بأكملها لا تكفي لجمال هذا العالم

ولمسؤوليات حياتك.

انثري أزهارك فوق القبور، وانصرفي.

من كتاب الوقت

.1

نهضتُ هذا الصباح مبكرةً كما اعتدتُ، وتوجهتُ
صوب مكتبي.
ولكنه الربيع،

وطائرُ السمنةِ في الغابةِ،
في مكانٍ ما في الأغصان الملتفّةِ، وهو يغنّي.
ولذا، الآن، أنا واقفةٌ عند الباب المفتوح.
والآن أنا أنزلُ على العشبِ.

إنني ألمسُ بضعةَ أوراقٍ.
ألاحظُ الطريقةَ التي تتحركُ فيها الفراشاتُ الصفراءُ
معًا، في سحابةٍ ملتمعةٍ فوق الحقل.
وأفكرُّ: ربما يكون محضُ النظرِ
والاستماعُ
هو العملُ الحقيقيُّ.

ربما يكون العالمُ، من دوننا،

هو القصيدةُ الحقيقية.

2.

كم هو عددُ السنوات التي أمضيتِها

في المنزلِ

وأنتِ تغلقين النوافذَ،

في حين كان المطرُ ما يزال على بعد خمسة أميال

وكان الغيمُ الأرجوانيُّ اللونِ ينحرفُ

باتجاه الشمال،

بعيدًا عنكِ

ولم تكوني تملكين ما يكفي من المعرفةِ

لتكوني آسفةً،

كنتِ سعيدةً

لأن تلك الأوراقَ، مع المشبك الذهبي العَرَضي،

كانت تنجرفُ، إلى مكانٍ آخرَ،

عنيفةً ومكهربةً وجامحة.

وهل ستكتشفين أخيرًا أنك ترغبين في نسيان

كلِّ صور الحبس، بما في ذلك

حبس ذاتك، أيتها الورقةُ الوحيدةُ،

وهل ستمضين

مسرعةً آخرَ الأمر، محمومةً،

صوب النوافذ لتفتحيها وتميلي صوبَ

السماءِ الفضيةِ الداكنةِ، وصوبَ كلِّ شيءٍ

ليس بإمكانك القبض عليه، صارخةً

أنا هنا، أنا هنا! الآن، الآن، الآن، الآن، الآن.

.3

حلمتُ

أنني كنتُ أسافرُ

من بلدٍ

إلى آخرَ

راكضةً

على ظهرِ

حصانٍ أبيضَ

حوافرُهُ

كانت موسيقى

الغبارُ والحصى
رَسَنُهُ
كان مصنوعًا من الجدائل الورقيّةِ

للأزهار،
واسمُهُ
كان الأرض.
ولم يشعر أبدًا
بالتعبِ
رغم أن الشمسَ
غربتْ
مثل ألفِ وردةٍ

والنجومُ
وضعتْ وجوهها البيضاءَ
أمام الأغصانِ السوداءِ
فوقنا

وبعد ذلك
لم يكن ثمة شيءٌ حولنا
سوى الماءِ
والحصانُ الأبيضُ

انعطفَ فجأةً

مثل صاعقةٍ من القماشِ الأبيضِ

تنفتحُ

تحت يدَيْ قاطعِ الأقمشةِ الماهرتين

لتصبحَ

بجعةً.

لسانُها الأحمرُ

التمعَ خارجًا

حين استوعبتْ

دهشتيَ العظيمةَ

بهجتيَ الكبيرةَ والجامحةَ

شعوريَ بالراحةِ الذي بالكادِ أستطيعُ السيطرةَ عليه...

.4

«أيًّا كان من سيُقاد كل هذه المسافة نحو أسرار الحب، عَبْرَ تأمل الأشياء الجميلة عن حق في الترتيب الملائم، فإنه يقترب من الدرجة الأخيرة. فجأة سوف يرى جمالاً بديعًا في طبيعته، ذلك الجمال، يا سقراط، الذي تُحمّلتْ في سبيله كلُّ المشاق السابقة: بالدرجة الأولى، أبديٌّ، وهو لم يولد أبدًا ولا يفنى، لا يزيد ولا يضمحل؛ وبالدرجة الثانية، ليس جميلاً هنا وقبيحًا هناك، ليس جميلاً الآن وقبيحًا فيما بعد، ليس جميلاً في

اتجاهٍ واحدٍ وقبيحًا في اتجاهٍ آخرَ، ليس جميلاً في مكانٍ واحدٍ وقبيحًا في مكانٍ آخرَ. مرةً أخرى، هذا الجمال لن يُظهِرَ نفسه مثل وجهٍ أو يدين أو أي عضو من الجسد على الإطلاق، ليس كخطابٍ أو عِلم، وليس بوصفه في حقيقة الأمر في أي شيء، كما في في إحدى الكائنات الحية أو الأرض أو السماء أو أي شيء آخر، ولكن أن يكون بذاته مع ذاته دائمًا في البساطة؛ في حين تشترك كلُّ الأشياءِ الجميلة في الأماكن الأخرى في هذا الجمال بهذه الطريقة، بحيث حين تولد وتفنى لا ينقص منه ولا يزيد فيه شيءٌ ولا يصيبه شيءٌ على الإطلاق...»

.5

ما الأسرارُ التي تتطايرُ من الترابِ
حين أدفعُ بطرفِ المسحاةِ،
حين أتركُ الترابَ مفتوحًا؟

وإن لم تكنْ ثمة أسرارٌ
فما تلك الرائحةُ تلك العذوبةُ المتصاعدةُ؟

ما هو اسمي،
آه ما هو اسمي
حتى يمكنني إعادته
إلى العالم الجميل؟

هل مشيتُ

طويلاً بما يكفي

حيث ينكسر البحرُ مهتاجًا

طوال النهارِ والليلِ فوق الرمل الشاحب؟

هل أُعجبتُ بما يكفي بالبركانِ الصغيرِ

للطائر الطنّان؟

بالإبهامِ

الثقيلِ

لثمرةِ العلّيق؟

بالشهاب؟

.6

أَحصي الورودَ، حمراءَ ومرفرفةً.

أَحصي الورودَ، مجعدةً ولاذعة.

كلُّ واحدةٍ منها مع خط وبرِها الأصفرِ في مركزها.

كلُّ واحدةٍ منها مع عسلها متجمعًا ومُعَدًا.

هل لديك سؤالٌ لا يمكنُ الإجابةُ عليه؟

هل تخيفكِ الأزهارُ بثقلها

وعددِها اللانهائي؟

هل يزعجكِ، أنه من الصعب استيعابُ الرحمة؟

بالنسبة لبعض الأرواح الأمر سهلٌ؛ فهي تستلقي على الرملِ

وسرعان ما تغفو.

بالنسبة لآخرين، يتراجفُ العقلُ في قصرِه الجليدي

ولن يأتي.

أجلْ، فالعقل يستغرقُ وقتًا طويلاً، وإلا لكان منشغلاً

بالسعادةِ، والتنفس العميق.

الآن، في مكانٍ بعيدٍ، ثمة طيرٌ يغرّدُ.

والآن جمعتُ ستة أو سبعة أكواب من البتلات

نصف المفتوحة الداكنة الحمرة بين يديّ،

والآن وضعتُ وجهي قبالتها

والآن أحرّكُ وجهي صعودًا ونزولاً، ببطءٍ،

قبالتها.

الجسدُ ليس أكثر من قدمين ولسان.

تعالي إليّ، تقول السماءُ الزرقاءُ، وقولي الكلمة.

وأخيرًا حتى العقل يجيءُ راكضًا، مثل شيءٍ جامحٍ،

ويستلقي على الرمل.

الأبديةُ ليست فيما سيأتي، أو في أي مكانٍ لا يمكن العثورُ عليه.

الورود، الورود، الورود، الورود.

.7

حتى الآن

أتذكرُ شيئًا ما

الطريقةَ التي بها زهرةٌ

في جرةٍ من الماءِ

تتذكرُ حياتَها

في الحديقةِ الكاملةِ

الطريقةَ التي بها زهرةٌ

في جرةٍ من الماءِ

تتذكرُ حياتَها

كبذرةٍ مقفلةٍ

الطريقةَ التي بها زهرةٌ

في جرةٍ من الماءِ

تثبّتُ نفسَها

متذكرةً نفسَها

قبلَ وقتٍ طويلٍ

الجذورَ المنغمسةَ

الحصيّاتِ المطرَ

السـاقَ الملتمعةَ

أجنحةَ الأوراقِ

أنصالَ الأوراقِ.

ترتفعُ وتتصارعُ

على وردةِ الشمسِ

ملحَ النجومِ

تاجَ الريحِ

براعمَ الغيومِ

الحلمَ الأزرقَ

الدائرةَ التي لا تنكسر.

من

الريح الغربية

1997

في راوند بوند

أيتها البومةُ
فلتظهري ظهورك القصيرَ الآنَ

أيتها البومةُ يا طائرَ الكآبةِ الداكنَ
أيها الرسولُ المذكِّرُ

بالموتِ
الذي لا سبيلَ لإيقافه
الجدالِ معه كبحهِ إخمادِه
مثلَ نارٍ حمراءَ بل إنه

يتوقّدُ أنّى شاءَ
أيتها البومةُ

لم أرَكِ الآن منذ
مدةٍ طويلةٍ من الوقتِ فلا

تختبئي بعيدًا بل تعالي محلقةً ومطقطقةً

بخفقِ جناحيكِ

رأسُ موتكِ أوه ارفعيه

من بين أشجارِ الصنوبرِ الشعثاءِ حين

تنظرين إلى الأسفلِ بعينيكِ

الذهبيتين كيف أنَّ كلَّ شيءٍ

يرتجفُ

ثم يستقرُّ

من محضِ صدفةٍ إلى

كثافةِ المعنى.

ثعلب

لا تعرفين أبدًا إلى أين ستأخذكِ

جملةٌ ما، اعتمادًا

على انبساطها وانقباضها. كنتُ أمشي

فوق التلال حين رأيتُ

الثعلبَ الأحمرَ نائمًا تحتَ الأغصانِ

الخضراءِ لشجرة الصنوبر. توهّجَ

في الاكتمالِ العذبِ لكيانه،

الذيلُ الذي كان فوق خطمهِ

يرتفعُ في دهشةٍ رهيفةٍ

ونارُ العينين التي تبعثْ ذلك

والأذنانِ المستنفرتانِ والجسدُ

النحيلُ الأشبهُ بالأنبوبِ

قدمانِ قويتانِ في جواربَ سوداءَ وجاءَ

نحوي كيف تغيّرُ صبغةُ العالمِ

كلَّ شيء، كنتُ أشعرُ بالحرارةِ كنتُ أشعرُ بالبردِ أوشكتُ

على الموتِ من البهجة. وبطبيعةِ الحالِ فإنَّ العقلَ

يظلُّ باردًا في قصره المخفيِّ- نعم، يحتاجُ العقلُ

وقتًا طويلاً، وهو من ناحيةٍ أخرى منشغلٌ بالسعادةِ، والتنفس

العميقِ. ومع ذلك،

وأخيرًا، فإنه يأتي أيضًا، راكضًا

مثل كائنٍ جامحٍ، لكي يُؤخذَ

مع شقيقهِ التوأمِ، النَفَس. لذا وقفتُ

فوقَ الرمل المحمرِّ الشاحبِ، مراقبةً الثعلبَ

وهو يتفتحُ مثلَ زهرةٍ، وبدأتُ

بنعومةٍ، في الاختيار بين حشدِ الكلماتِ الهائلِ

حتى تركضَ مرارًا وتكرارًا على الصفحةِ

حتى ترتجفَ مرارًا وتكرارًا وأنتَ تكيلُ الثناء.

من «الريح الغربية»

.1

إن كانت هناك حياةٌ بعد الموتِ، فهل تريدُ المجيءَ معي؟

حتى حينذاك؟ إن كان مقدرًا لنا أن نكون شيئًا ما، فلماذا لا نكونُ معًا.

تخيلْ! حَجَرانِ صغيرانِ، برغوثانِ

تحت جناحَيْ نورسٍ،

يحلّقانِ وسط الضبابِ! أو،

عشرُ أوراقٍ من العشبِ. عشرُ حلقاتٍ

من زهرِ العسلِ، وكلٌّ منها

تندفعُ نحو الأخرى، على طرفِ ريس

رودا! خوخُ شاطئٍ! ندفُ ثلجٍ،

تدلفُ إلى الغابةِ الشتويةِ،

لينجمَ عنها صوتٌ خافتٌ جدًا، مثل هذا

سوووووووووووووووووووووووو

وووووووووووووووووووووووووو

وهي تزاوجُ الأجسادَ المغبرّةَ

لأشجارِ البلّوطِ. أو، مطرٌ –

ذاك الضوءُ الشاحبُ المتدفقُ فوق

البحرِ، عابثًا به، صاقلًا

إيّاه، قادمًا، طوالَ الصباحِ

والأصيلِ، من فورةِ شبابِ الريحِ الغربيةِ

ووفرتها ومرحها – يؤزُّ ويثرثرُ

فوق أسطحِ البيوتِ في بروفينستاون.

من

شجرة الصنوبر البيضاء

1994

مايو

لم يكن ما يستلقي على الطريق

محضَ أفعى بحجم الكفِّ. كانت

الأفعى النحاسية الرأس أخيرًا، ذهبيةً

تحت مصباح الشارع. أتمنى

أن أرى كلَّ شيءٍ في هذا العالم

قبل أن أموتَ. انحنيتُ على الطريقِ

وحدّقتُ. كان رأسها على شكل إسفينٍ

وكان متراجعًا للوراءِ بالنسبة

للنحافة المفاجئة لعنقها.

الجسد نفسه كان ثخينًا، مشدودًا،

مكهربًا. من الواضح أن هذه

لم تكن أفعى سوداءَ تنظرُ إلى الأسفل من

فروع شجرة، أو أفعى

خضراء، أو أفعى الغرطر، التي تؤزُّ

فوق الصخور. فحيث كانت تلك تتسمُ

بالحياءِ، فإن هذه لا تملك أدنى درجةٍ منه.

حين تحركتُ قليلاً، التفتتْ

وكلّبتْ عينها بعينيّ؛

وبعد ذلك اندفعتْ نحوي.

قفزتُ إلى الوراء وراقبتُها وهي

تعبرُ الطريقَ وتتسللُ

صوبَ الظلام. كان قلبي

يخفقُ بشدةٍ. توقفتُ لبرهةٍ،

مصغيةً للأصواتِ الخافتةِ

للغابة ومتطلعةً في

النجومِ. بعد الإثارةِ تغمرُنا

السكينةُ. حين يُرفعُ إبهامُ

الخوفِ، تدبُّ فينا الحياةُ.

نعم! لا!

ما مدى أهمية أن تمتلك

آراءً! أظنُّ أن زنابقَ التروتةِ

التي شُوهدتْ قانعةٌ بما هي عليه، وهي تقفُ

مرتفعةً بضعَ بوصاتٍ فوقَ سطحِ

الأرضِ. أعتقدُ أن الصفاءَ ليس مجردَ شيءٍ

تعثرُ عليه في العالمِ، مثل شجرةِ خوخٍ، رافعةً

بتلاتَها البيضاءَ.

البنفسجاتُ، إلى جانب النهر، تفتحُ

وجوهها الزرقاءَ، مثل

مصابيحَ داكنةٍ صغيرةٍ.

الطحالبُ الخضراءُ، لكونها

كثيرةً، تبدو قويةً مثل العضلات.

ما مدى أهميةِ أن تمشي

هناك، ليس في عجلةٍ بل بتؤدةٍ،

موجهًا بصرك صوبَ كلِّ شيءٍ ومناديًا

نعم! لا! طائرُ

البجعِ، مع كلِّ زهوه، وأرديته

الزجاجية وبتلاته، يريدُ فقط

أن يُتاح له العيشُ على

النبع الذي لا اسمَ له. الفشاغ[8]

لا مثالبَ فيه. الماءُ

يندفعُ، منحدرًا بين

الصخور الزلقة، طيور

دجّ الماء[9] تغمرها البهجةُ التي

لا تُحدُّ. الخيالُ أفضلُ

من آلةٍ حادةٍ.

أن نعيرَ الانتباهَ، هذا هو عملنا

اللانهائيُّ والملائم.

---

(8) . نبات معرش (المورد).

(9) . طائر مغرد يألف الأنهار (المورد).

الطيور المحاكية

هذا الصباح

كان هناك طائران محاكيان

في الحقلِ الأخضرِ

ينسجانِ

الأوشحةَ البيضاءَ

لأغانيهما

ويقذفانِ بها في الهواءِ.

لم يكن ثمة شيءٌ أفعلُه أفضلَ

من الإصغاءِ.

أعني ذلك

جادةً.

في اليونانِ

ومنذ زمنٍ بعيدٍ،

فتح زوجانِ عجوزانِ

بابهما

لغريبين

تبيّن أنهما

لم يكونا من الإنسِ مطلقًا،

بل كانا إلهينِ.

إنها قصتيَ المفضلةُ..

كيف أن العجوزينِ لم يكونا

يملكانِ أيَّ شيءٍ تقريبًا ليجودا بِهِ

سوى رغبتهما

في أن يكونا لطيفينِ

ولكنْ لهذا فقط

أحبهما الإلهان

وباركاهما..

بينا كانا يخرجانِ من جسديهما الفانيينِ

مثل ملايين جزيئاتِ الماءِ

المنبثقِ من الينبوعِ

تدفّقَ الضياءُ

في كلِّ زوايا الكوخِ

وانحنى الزوجانِ العجوزانِ

وقد دبّتْ فيهما الرجفةُ

ولكنهما لم يطلبا

سوى الحياةِ الصعبةِ

التي كانا يملكانها من قبل.

ابتسم الإلهان، إذ أخذا بالتلاشي،

وهما يصْفِقان بأجنحتهما الضخمةِ

أيًّا كان المكانُ

الذي كان من المفترضِ أن أكونَ فيه

هذا الصباح..

وأيًّا كان ما قلتُ

أنني سأقومُ بهِ..

لقد كنتُ واقفةً

لدى حافةِ الحقلِ..

كنتُ أركضُ

عَبْرَ روحي،

مشرعةً أبوابها المعتمةَ؛

كنتُ أنحني

كنتُ أُصغي.

عثرتُ على ثعلب ميت

عثرتُ على ثعلبٍ ميتٍ
إلى جانب الطريق المغطّى بالحصى،
متكورًا داخلَ الإطارِ
المعدني الكبير

لجرّارٍ زراعيٍّ قديمٍ
كان موجودًا هناك
لسنواتٍ،
في الكرومِ على حافةِ
الطريق.
لا أدري
ما الذي حلَّ به –
متى جاءَ إلى هناك

أو لماذا يقبعُ
إلى الأبدِ، واضعًا
ذقنَهُ الدقيقةَ
على الحافةِ الصدئةِ

للإطارِ الحديدي

ليطلَّ على الحقول،

وبهذه الطريقةِ ماتَ –

ولكنني أعرفُ

هذا: إن وضعَ جسدِهِ –

ناظرًا،

إلى آخرِ لحظةٍ ممكنةٍ،

إلى العالمِ –

جعلني أريدُ

أن أغنّي شيئًا

مرحًا ورقيقًا

عن الثعالب.

ولكنَّ ما حدثَ هو هذا –

حين بدأتُ،

حين تسللتُ

عَبْرَ زهورِ العسلِ

واستلقيتُ،

مكوّرةً جذعيَ الطويلَ

داخلَ ذاك الإطارِ البارِدِ،

ومسستُ الثعلبَ الميتَ،

ونظرتُ

في الحقولِ الشاسعةِ،

اختفى

الثعلبُ.

كنتُ هناك وحدي فقط

والعالمُ،

وكنتُ أنا

من غادَرَتْ.

وما الذي سيكونُ بوسعي غناؤه

حينئذٍ؟

أوه، أيها العالمُ الجميلُ!

اكتفيتُ بالمكوثِ هناك

والنظرِ إليه.

وبعد ذلك زحفَ الظلامُ.

النهارُ لفظ أنفاسَهُ الأخيرةَ.

وبعد ذلك تقدّمتِ النجومُ

رافعةً نيرانها الموعودةَ –

أولئك الحراسَ المتوهجينَ القساةَ لليل.

أغسطس

جارتنا، الفارعة الطول والشقراء والمترعة بالحيوية، أمٌّ عديدٍ من الأطفال، أصيبتْ بالمرض. لم نكن نعلم أنها مريضة، ولكنها جاءت إلى السياج، ماشيةً مثل امرأةٍ توازنُ سيفًا داخل جسدها، وإضافةً إلى ذلك اختفى شعرُها الطويلُ، وأصبح، فجأة، قصيرًا وقد وخَطَه الشيب. لا أتعرّف عليها. بل ولقد بدا لي أنها أمها. ولكنه نفسُ صوتها الضاحكُ، الذي طالما سمعناه لسنواتٍ من وراء السياج.

طوال الصيف يأتي الأبناءُ، الذين كبروا الآن ورُزِقَ بعضهم بأطفال، للزيارة. يسبحون، يذهبون للمشي مسافاتٍ طويلةً على امتداد الميناء، يعدُّون وجباتِ عشاءٍ لاثني عشرًا شخصًا، لخمسة عشر شخصًا ، لعشرين شخصًا. في الصباح الباكر تأتي ابنتان إلى الحديقة وببطءٍ تقومان بحركات التاي تشي[10].

كلهم يبتسمون. والدهم يبتسم أيضًا، ويبني قلاعًا فوق الشاطئ مع الأطفال، ويقودُ سيارته ذاهبًا إلى المدينة، ليذهب بعد ذلك إلى القرية. يستعينون بنجّارٍ – يصلح السقف، ويعيد بناء الشرفة. كل ما يمكن إصلاحه.

---

(10) . 1. نوع من أنواع الرياضات الروحية المتطورة عن الفنون القتالية القديمة في آسيا.

يونيو، يوليو، أغسطس. كل يوم، نسمع أصوات ضحكاتهم.

أفكّرُ في لوحة فان كوخ، الرجل الجالس في الكرسي. ما من شيءٍ يسيرُ على ما يرام، وما من مكانٍ يُذهب إليه، ويداه فوق عينيه.

علجوم

كنتُ أمشي عابرةً. وكان يجلسُ هناك.

كان الصباحُ في أوجهِ، لذا كانتِ الحرارةُ تُثقلُ رأسه ذا اللون الرمليِّ وقدميه المكففتين. جلستُ القرفصاءَ إلى جواره، عند حافةِ الطريقِ. لم يتحرك.

بدأتُ في الحديث. تحدثتُ عن الصيفِ، وعن الزمنِ. متعة الأكل، مخاوف الليل. عن هذه الكأس التي نسميها الحياة. عن السعادة. والشعور الجميل الذي تبعثه، حرارة الشمس ما بين لوحَي الكتف.

لم ينظر إلى الأعلى أو إلى الأسفل، والذي لم يكن يعني بالضرورة أنه كان خائفًا أو نائمًا. شعرتُ بطاقته، المخزونة تحت لسانه ربما، ووراء عينيه الناتئتين.

تحدثتُ عن كيف يبدو العالمُ بالنسبة لي، على ارتفاع خمسة أقدام، والسماءُ الزرقاءُ تحيط برأسي. قلتُ، أتساءل كيف يبدو العالمُ بالنسبة له، في الأسفل هناك، بألفته مع الغبار.

لربما كان بوذا – فهو لم يتحرك، أو تطرف عيناه، أو يعبس، ولم تسقط دمعةٌ واحدةٌ من تينك العينين المؤطرتين بالذهب حين كان الأسى المصقولُ للغةِ يعبرُ فوقه.

من

قصائد جديدة ومختارة:

المجلد الأول

1992

الشمس

هل سبق لك أن شاهدتَ قط
أيَّ شيءٍ
طوالَ حياتك
أكثرَ جمالاً

من الطريقةِ التي تطفو بها الشمسُ
صوبَ الأفقِ
كلَّ مساءٍ،
باطمئنانٍ وتؤدةٍ،

لتدخلَ في الغيومِ أو الهضابِ،
أو البحرِ المتموّجِ،
وتغيبَ –
وكيف تنزلقُ مرة أخرى

خارجةً من الظلمةِ،
كلَّ صباحٍ،
في الجهةِ الأخرى من العالمِ،

مثل زهرةٍ حمراءَ

متدفقةً باتجاه الأعلى في زيوتها السماوية،

لنقلْ، في إحدى صباحاتِ أوائلِ الصيف،

محافظةً على مسافتها الفخمة المثالية –

وهل سبق لك أن شعرتَ تجاه أيِّ شيءٍ قط

بمثل هذا الحبِّ الجامحِ –

هل تظنُ أن هناك في أي مكانٍ، في أي لغةٍ،

كلمةٌ تفي

بمثل هذه البهجة

التي تغمرُك،

في الوقتِ الذي

تمدُّ الشمس كفَّهَا إليك،

في الوقت الذي تبثُّ الدفءَ فيك

وأنت واقفٌ هناك،

خاوي اليدين –

أم أنك أنتَ أيضًا

قد أدرتَ ظهرك لهذا العالم –

أم أنك أنتَ أيضًا

قد تملّككَ جنونُ الاستحواذِ

على السلطةِ،

وعلى الأشياء؟

حين يجيء الموت

حين يجيءُ الموتُ
مثل الدبّ الجائعِ في الخريفِ؛
حين يجيءُ الموتُ ويُخرجُ كلَّ النقودِ اللامعةِ من حقيبته

ليبتاعني، ثم يقومُ بإغلاقِ الحقيبةِ؛
حين يجيءُ الموتُ
مثلَ الحصبةِ؛

حين يجيءُ الموتُ
مثلَ جبلِ الجليدِ العائمِ بين لوحي الكتفِ،

أريدُ أن أخطوَ عبر البابِ والفضولُ يتملّكُني، متسائلةً:
تُرى كيف سيكونُ، كوخُ العتمةِ ذاك؟

لذلك أنظرُ إلى كلِّ شيءٍ
كأخٍ أو كأختٍ لي،
ولا أنظرُ إلى الزمنِ إلا بوصفهِ فكرةً،
وأعتبرُ الأبديةَ محضَ احتمالٍ آخرَ،

وأفكّرُ في كلِّ حياةٍ بوصفها زهرةً أليفةً
مثلَ زنبقةِ الحقلِ، وفريدةً مثلها،

كما أفكّرُ في كلِّ اسمٍ كموسيقى هادئةٍ في الشفاهِ،
تميلُ، كما هو شأنُ كلِّ موسيقى، تجاهَ الصمتِ،

وأفكّرُ في كلِّ جسدٍ كهزبرٍ من الشجاعةِ، وكشيءٍ
عزيزٍ على الأرضِ.

حين ينقضي الأمرُ، أريدُ أن أقولَ: طوالَ حياتي
كنتُ زوجةَ الدهشةِ.
كنتُ الزوجَ، محتويةً العالمَ بين ذراعيَّ.

حين ينقضي الأمرُ، لا أريدُ أن أتساءلَ حائرةً
إذا ما كنتُ قد صنعتُ من حياتي شيئًا مميّزًا وحقيقيًا.
لا أريدُ أن أجدَ نفسي متحسرةً أو خائفةً،
أو مترعةً بالجدلِ.

لا أريدُ أن ينتهي بيَ المطافُ كمجردِ زائرةٍ عابرةٍ لهذا العالم.

ثعبان الماء

رأيتُهُ

في مكانٍ جافٍّ

في يومٍ قائظٍ،

مسافرٌ

يشقُّ طريقَهُ

من نبعٍ

إلى آخرَ،

رفعَ إلى الأعلى

وجهَهُ المتوجِّسَ

ونظرَ إليّ

بعينيهِ الترابيتينِ،

وكانتْ ريشةُ لسانه

تدخلُ وتخرجُ

من فمه الذي كان فيما عدا ذلك مقفلاً بإحكام،

فتوقفتُ في الطريقِ

لأتيحَ له المجالَ،

فتجاوزني

رافعًا رأسه،

مبغضًا إيايّ، فيما أحسبُ،

بسبب ساقيّ الطويلتينِ،

وجسديَ البائسِ، مثل عمودٍ،

وأصابعي الكثيرة،

لأنه لم يبقَ طويلاً

ولكنه، وقد لامسَ الجهةَ الأخرى من الطريقِ،

توجّه، باندفاعاتٍ طويلةٍ إلى الأمامِ وتنهداتٍ سريعةٍ،

مباشرةً إلى الحوضِ الأقربِ

من الماءِ العذبِ الداكنِ والأعشابِ،

والعزلةِ –

مثل سيفٍ عتيقٍ

يستلُّ نفسَهُ فجأةً ويمضي،

متمايلاً، متمايلاً

عَبْرَ الأوراقِ الخضراء.

أزهار بيضاء

ليلة البارحةِ
في الحقولِ
اضطجعتُ في العتمةِ
لأفكّرَ في الموتِ،
ولكنني عوضًا عن ذلك نمتُ،
كما لو أنني في غرفةٍ كبيرةٍ ومائلةٍ
ملأى بتلك الأزهار البيضاءِ
التي تتفتحُ طوالَ الصيفِ،
دبقةً ومهوّشةً،
في الحقولِ الدافئةِ.
عندما استيقظتُ
كان ضوءُ الصباحِ قد انزلقَ للتو
أمامَ النجومِ،
وكنتُ مغطاةً
بالبراعمِ.
لا أعرفُ
كيف حدثَ ذلك –
لا أعرفُ

إن كان جسدي قد غطسَ إلى الأسفلِ

تحتَ الكرومِ المعسولةِ

في تقاربٍ مصقولٍ بالنومِ

مع الأعماقِ، أو إن كانت

الطاقةُ الخضراءُ

قد ارتفعتْ مثل موجةٍ

والتفّتْ حولي، مستردةً إيّايَ

في ذراعيها القويين.

دفعتُ بها بعيدًا عني، ولكنني لم أنهض.

لم أشعرْ طوال حياتي قطُّ بأنني ممتلئة،

أو زلقة،

أو خاوية بصورة متألقة.

لم أشعر طوال حياتي

بنفسي قريبةً جدًا

من الخط المساميّ

حيثُ انتفى الغرضُ من جسدي

وحيثُ الجذورُ والفروعُ

والسيقانُ

شرعتْ في الظهور.

زهور الفاوانيا

هذا الصباح تتأهب قبضاتُ الفاوانيا

الخضراءُ لتفطرَ قلبي

مع شروق الشمس،

حين تربتُّ الشمسُ عليها بأصابعها العتيقةِ المزبّدةِ

فتنفتحُ –

بركًا من الحرير،

بيضاءَ وزهريةً –

وطوال النهارِ يتسلقها النملُ الأسودُ،

محدثًا ثقوبَهُ العميقةَ والملغزةَ في ثنياتها،

تواقًا للنسغ العذبِ،

حاملاً إيّاه

إلى مُدنهِ المظلمةِ تحت الأرض –

وطوال النهار

تحتَ الريحِ المتقلبةِ،

كما لو في رقصةٍ في حفلِ الزفافِ الكبيرِ،

تحني الأزهارُ أجسادهَا المشرقة،

وتمنحُ عبقها للهواءِ،

وترفعُ،

سيقانها الحمراءَ ممسكةً

كلَّ الرطوبةِ والطيش

بحبورٍ وخفةٍ،

وها هي مرةً أخرى –

الجمالُ الشجاعُ، المثاليُّ،

يتفتحُ مشرقًا.

هل تحبُّ هذا العالمَ؟

هل أنت متعلق بحياتك المتواضعة الحريرية؟

هل تعشقُ العشبَ الأخضرَ، بالرعب الكامن أسفل منه؟

هل تسارع أيضًا، نصفَ عارٍ وحافي القدمينِ، إلى الحديقةِ،

وبنعومةٍ،

ومتعجبًا من معزّتها،

تملأ كفيك بالزهورِ البيضاءِ والزهريةِ،

بثقلها الحلو كالعسل، بكثافتها الراجفة،

بتوقها

لتكون جامحةً ومثاليةً للحظةٍ،

قبل أن تكونَ

لا شيءَ، إلى الأبد؟

البلشون

في كلِّ مرةٍ

عدا مرةٍ واحدةٍ

تميّزُ

الأسماكُ الصغيرةُ

والضفادعُ المرقطةُ

سيقانَ البلشونِ الأشبهِ بالبامبو

من القصباتِ النحيفةِ القشيبةِ

عند حافةِ

العالم الحريري

للماء.

حينئذٍ،

في الجرعةِ الأخيرةِ المتبقيةِ لها من الزمن،

ترى،

للحظةٍ واحدةٍ،

الزبدَ الأبيضَ

لكتفيها،

والزخارفَ البيضاءَ

لبطنها،

واللهبَ الأبيضَ

لرأسها.

ما الذي لديك لتقوله أكثرَ

عن مثل هؤلاء السباحين الجامحين؟

كانوا هنا،

كانوا صامتين،

وها هم هؤلاء قد اختفوا، بعد أن نالوا نصيبهم

من الرعبِ المحضِ.

لذا فإنني قد اخترعتُ الكلماتِ

التي أستعينُ بها في الوقوفِ متراجعةً

على الشاطئِ الكثيفِ الأعشابِ –

لأقولَ بها:

انظروا! انظروا!

ما هذا الموتُ الأسودُ

الذي ينفتحُ

مثل بابٍ أبيض؟

الأرز

نما في الطمي الأسود.

نما تحت مخالبِ النمرِ البرتقاليةِ اللون.

سيقانُهُ أنحفُ من الشموعِ، وفي مثل استقامتها.

أوراقُهُ مثل ريشِ البلشون، ولكنها خضراء.

الحبوبُ بلغتْ قمتها، راغبةً في أن تتفتحَ.

أوه، يا دمَ النمرِ.

لا أريد منكم أن تكتفوا بالجلوسِ على المائدة.

لا أريد منكم أن تتناولوا الطعامَ، وأن تكتفوا بذلك.

أريد منكم أن تمشوا في الحقولِ

حيث الماءُ يلمعُ،

والأرز قد سمقَ بقامته.

أريدكم ان تقفوا هناك، بعيدًا عن غطاءِ المائدةِ الأبيض.

أريدكم أن تملأوا أيديكم بالطمي، مثل شيءٍ مبارك.

قطف التوت البري، أوستيرلتز، نيويورك، 1957

ذاتَ مرةٍ، في الصيفِ،
في حقولِ التوتِ البريِّ،
استسلمتُ للنوم، واستيقظتُ
حين عثرتْ بي غزالةٌ.

أظنُّ
أنها كانت مستغرقةً في سعادتها
حدَّ أنها لم تكن تأبه بما حولها
وكانتْ تتجوّلُ في الجوارِ

مصغيةً
للريحِ إذ تنحني
لترتشفَ العذوبةَ.
إذن، فقد كنّا معًا

دون أن يفصلَ بيننا شيءٌ
سوى بضعةِ أوراقٍ، وصوتِ الريحِ المصقولِ
صارخًا بتعاليمه.

تراجعتِ الغزالةُ أخيرًا
ورفعتْ ذيلها الأبيضَ
ومضتْ مسرعةً صوبَ الأشجارِ –

ولكنَّ اللحظةَ التي سبقتْ فعلها لذلك
كانت من الرحابةِ والعمقِ
حدَّ أنها استمرتْ حتى اليوم؛
وما عليَّ سوى أن أفكّرَ فيها –

زهرةُ اندهاشها
والنَفَسُ المتوقفُ لفضولها،
وحتى اللمسةُ النديّةُ لقلقها
قبل أن تولّي راكضةً –

لتغيبَ مرةً أخرى من هذا العالمِ
ولتكون حيةً، مرة أخرى، في عالمٍ آخرَ،
لثلاثين عامًا
ناعسةً ومندهشةً،

ناهضةً من الحشائشِ الخشنةِ،
مصغيةً ومحدقةً.
أيتها الفتاةُ الجميلةُ،
أين أنتِ؟

من

منزل الضوء

1990

بعض الأسئلة التي قد تطرحها

هل الروحُ صلدةٌ مثلَ الحديدِ؟

أم أنها رقيقةٌ وهشةٌ مثلَ

جناحَي عثةٍ في منقارِ بومةٍ؟

من يملكها، ومن لا يملكها؟

أظلُّ أنظرُ حولي.

وجهُ الموظِ يبدو في مثل حزنِ

وجهِ المسيحِ.

تفتحُ الإوزةُ جناحيها الأبيضينِ ببطءٍ.

في الخريفِ،يحملُ الدبُّ الأسودُ أوراقًا إلى العتمةِ.

سؤالٌ يقودُ إلى آخرَ.

هل تملكُ شكلاً؟ مثل جبلِ الجليدِ؟

مثل عينِ الطائرِ الطنانِ؟

هل تملكُ رئةً واحدةً مثلَ الثعبانِ أو الأسقلوبِ؟

لماذا أملكُها أنا وليس آكلةُ النملِ

التي تحبُّ أطفالَها؟

لماذا أملكُها أنا وليس الجملُ؟

فكّرْ بالأمرِ، ماذا عن أشجارِ القيقبِ؟

ماذا عن السوسنةِ الزرقاءِ؟

ماذا عن كلِّ الأحجارِ القابعةِ وحيدةً في ضوءِ القمرِ؟

ماذا عن الورودِ، وأشجارِ الليمونِ، وأوراقِها الملتمعةِ؟

ماذا عن العشبِ؟

يوم الصيف

من صنعَ العالمَ؟

من صنعَ البجعةَ، والدبَّ الأسودَ؟

من صنعَ أنثى الجندبِ؟

أعني أنثى الجندبِ هذه –

التي قذفتْ بنفسها من العشبِ،

التي تأكلُ السكرَّ من يدي،

التي تحرّكُ فكيها جيئةً وذهابًا بدلاً من الأعلى إلى الأسفلِ –

التي تحدّقُ فيما حولها بعينيها الهائلتينِ المعقدتينِ.

تارةً ترفعُ ذراعيها الأماميينِ وتغسلُ وجهها بأكملِهِ.

وتارةً تفتحُ جناحيها، وتطفو بعيدًا.

لا أعرفُ على وجهِ التحديدِ ما هي الصلاةُ.

أعرفُ كيف أعيرُ الانتباهَ، كيف أهوي

في العشبِ، كيف أسجدُ في العشبِ،

كيف أكونُ خاملةً ومباركةً، كيف أجولُ في الحقولِ،

وهو ما كنتُ أفعلُهُ طوالَ النهارِ.

أخبرني، ما الذي كان عليّ فعلُهُ غير ذلك؟

ألا ينتهي المطافُ بكلِّ شيءٍ إلى الموتِ، وأسرع مما نتصور؟

أخبرني، ما الذي تخطط لفعلِهِ

بحياتك الثمينةِ الجامحةِ التي لا تملكُ غيرَها؟

الربيع

في مكانٍ ما
ثمة أنثى دبٍّ سوداءَ
تستيقظُ للتوِّ من السباتِ
وتحدّقُ

أسفلَ الجبلِ.
طوالَ الليلِ
في الضجرِ المنعشِ والضحلِ
لأوائلَ الربيعِ

أفكّرُ فيها،
بقبضاتها الأربعِ السوداءِ
وهي تنفضُ الغبارَ عن الحصى،
بلسانها

مثل نارٍ حمراءَ
تلامسُ العشبَ،
والماءَ الباردَ.

ثمة سؤالٌ واحدٌ فحسبُ؛

كيف تحبُّ هذا العالم.
أفكّرُ فيها
ناهضةً
مثل نتوءٍ أسودَ ومورقٍ

لكي تشحذَ مخالبَها في
صمتِ
الأشجارِ.
مهما كانتْ

حياتي
بقصائدها
وموسيقاها
ومدنها الزجاجيةِ،

فإنها أيضًا هذه العتمةُ المبهرةُ
آتيةً
من أعلى الجبلِ،
متنفسةً ومستطعمةً؛

أفكّرُ فيها طوال اليوم –

بأسنانها البيضاءِ،

وافتقارها إلى الكلماتِ،

وحبها المثالي.

طيور الكوكوبارا

فِي كلِّ قلبٍ هناك جبانٌ ومسوّفٌ.

فِي كلِّ قلبٍ ثمة إلهٌ للزهور، ينتظرُ

أن يقدمَ من غيومهِ ويرفعَ جناحيه.

طيورُ الكوكوبارا، والرفراف، التصقتْ بأطرافِ

قفصها، طالبةً مني أن أفتحَ لها البابَ.

بعد ذلك بسنواتٍ أستيقظُ فِي الليلِ وأتذكّرُ

كيف قلتُ لها،

لا ، وانصرفتُ عنها.

كانت عيونها تشبه عيونَ الكلابِ الطيبةِ.

لم تكن تريدُ أن تفعلَ أيَّ شيءٍ خارقٍ للعادةِ،

كلُّ ما أرادته هو أن تحلّقَ فحسبُ

نحو وطنها إلى النهر.

الآن أفترضُ أن العتمةَ العظيمةَ قد بسطتْ ظلها فوقهم.

أما بالنسبة لي، فأنا لم أصبحْ إلهةً حتى

لأكثر الأزهارِ ذبولاً.

لم يتغير شيءٌ آخرُ أيضًا.

شخصٌ ما يرمي بعظامها البيضاءِ في كومةِ الروثِ.

تشرقُ الشمسُ على مزلاجِ القفصِ.

أضطجعُ في الظلامِ، وقلبي يخفقُ بشدة.

وردٌ، أواخر الصيف

ما الذي يحدثُ

لأوراقِ الشجرِ بعد

أن تحمرَّ وتتذهّبَ وتسقطَ؟

ما الذي يحدثُ

للطيورِ المغنيةِ

حين لا يكونُ بوسعها أن

تغنّي؟ ما الذي يحدثُ

لأجنحتها السريعةِ؟

هل تعتقدُ أن هناك أي

جنةٍ شخصيةٍ

لأيٍّ منا؟

هل تعقتدُ أن أيَّ شخصٍ،

الجهةَ الأخرى من العتمةِ،

ستنادينا، قاصدةً إيانا؟

فيما وراء الأشجارِ

تواصلُ الثعالبُ تعليمَ صغارها

أن تعيشَ في الوادي.

لذا يبدو أنها لا تختفي أبدًا، فهي دائمًا هناك

في برعم الضوءِ

الذي يبزغُ كلَّ صباحٍ

في السماءِ المعتمةِ.

وفوق مجموعةٍ أخرى من الهضابِ،

على امتداد البحرِ،

فتحتْ آخرُ الورودِ مصانعَ

عذوبتها

مانحةً إيّاها إلى العالمِ.

لو كانتْ لي حياةٌ أخرى

فسأختارُ أن أمضيها برمتها في سعادةٍ

لا حدودَ لها.

سأكونُ ثعلبًا، أو شجرةً

ملأى بالأغصانِ المرفرفةِ.

ولا مانع لديّ في أن أكون وردةً

في حقلٍ مليءٍ بالورود.

لم تعرفِ الخوفَ بعدُ، ولا الطموحَ.

ولم تفكرِ في منطق الأشياءِ بعدُ.

كما أنها لا تسألُ كم ينبغي عليها أن تكونَ

ورودًا، ومن ثمَّ ماذا.

ولا أي سؤالٍ آخر أحمق.

بومة بيضاء تطير إلى داخل الحقل وتخرج محلقة منه

قادمةً من الأعلى

من السماءِ المتجمدةِ

بأعماقِ ضوئها،

مثل ملاكٍ،

أو بوذا ذي أجنحةٍ،

كانت جميلةً

ودقيقةً،

ضاربةً الثلجَ وَ

كلَّ ما كان هناك

بقوةٍ تركتْ أثرَ

أطرافِ جناحيها –

على بعد خمسةِ أقدامٍ من بعضها بعضًا – وقوة الانتزاعِ

التي لقدميها،

وآثار ما كان

يجري

عبْرَ الوديان البيضاء

للثلج –

وإثر ذلك نهضتْ، بجلالٍ،

وحلّقتْ عائدةً إلى الأهوار المتجمدة،

لتمكثَ هناك،

مثل منارةٍ صغيرةٍ،

في الظلال الزرقاءِ –

لذا فكّرتُ:

ربما يتبينُ أن الموتَ ليس

ظلامًا، كما كنا نحسبُ،

بل كمٌّ هائلٌ من الضياءِ

يلفُّ نفسه حولنا –

ناعمًا نعومةَ الريشِ –

حدَّ أننا نكلُّ من

التحديقِ، والتحديقِ،

فنغمضُ أعيننا،

ليس من دونما دهشةٍ،

ونبيحُ لأنفسنا أن نُحملَ،

كما عبْرَ شفافيةِ الميكا،

إلى النهرِ

الذي لا يظهر فيه أدنى أثرٍ للرطوبةِ

أو الظل –

الذي هو لا شيءَ سوى الضياءِ – الضياءِ السافعِ

الأبهر –

الذي نُغسلُ فيه جميعًا ونُغسلُ

حتى لا تبقى سوى عظامنا.

سنغافورة

في سنغافورةَ، وفي المطارِ تحديدًا

انتُزعتْ غلالةٌ من الظلامِ عن عينيّ.

في دورةِ مياهِ السيداتِ، كانَ أحدُ الأبوابِ مفتوحًا.

وكانَ ثمةَ امرأةٌ تقعي هناك، وتغسلُ شيئًا ما

في المرحاضِ الأبيضِ اللون.

تعالى صوتُ الاشمئزازِ في بطني

ودسستُ يدي، في جيبي، باحثةً عن تذكرتي.

على القصيدةِ أن تحملَ عصافيرَها معها على الدوام.

أو لنقلْ طيورَ الرفرافِ بعيونها الجريئةِ وأجنحتها المرحة.

الأنهارُ عذبةٌ، وكذلك الأشجارُ بالطبع.

شلالٌ ما، أو إن لم يكن ذلك ممكنًا، فنبعُ ماءٍ

يرتفعُ ماؤه حينًا ويتراجعُ حينًا.

يرغبُ المرءُ في أن يكونَ في مكانٍ سعيدٍ في القصيدة.

حينما التفتتِ المرأةُ صوبي لم يكن بوسعي أن أجيبَ وجهها.

جمالُها وإحساسُها بالحرجِ كانا يتصارعانِ، ولم يكنْ بوسعِ أحدهما

أن يُلحِقَ الهزيمةَ بالآخر.

ابتسمتْ وابتسمتُ. أيُّ نوعٍ من الهراءِ هذا؟

كلُّ امرئٍ بحاجةٍ إلى عملٍ ما.

أجلْ، يرغبُ المرءُ في أن يكونَ في مكانٍ سعيدٍ في القصيدة.

ولكن ينبغي علينا أولاً أن نراقبها وهي منهمكةٌ في أشغالها،

التي هي في غايةِ الرتابةِ.

إنها تمسحُ الأجزاءَ العلويةَ من منافضِ السجائرِ المنتشرةِ في المطارِ،

بخرقةٍ زرقاءَ.

يداها الصغيرتانِ تُديرانِ المعدنَ، وهما تدعكانه وترفعانه.

إنها لا تعملُ ببطءٍ، أو بسرعةٍ، ولكن مثلَ نهرٍ.

شعرُها الأسودُ مثلَ جناحِ طائرٍ.

لا يساورني الشكُ للحظةٍ أنها تحبُّ حياتَها.

وإنني لأرغبُ في أن تنهضَ من أديمِ الأرضِ والوحلِ

وأن تحلقَ مسرعةً صوبَ النهرِ.

وهذا ما لن يحدثَ على الأرجح.

ولكن ربما حدثَ ذلك.

وإذا ما كان العالمُ محضَ ألمٍ ومنطقٍ، فمن سيرغبُ فيه؟

غير أنه ليس كذلك.

كما أنني لا أعني أن الأمر برمته على صلةٍ بمعجزةٍ ما، ولكن فقط

الضياءَ الذي يمكنُ أن ينبعثَ من حياةٍ ما. أعني

الطريقةَ التي نشرتْ وطوتْ بها خرقتها الزرقاءَ،

الطريقةَ التي كانتِ ابتسامتُها لأجلي أنا فقط؛ أعني

الطريقةَ التي تمتلئُ بها هذه القصيدةُ بالأشجارِ والطيورِ.

طائر الرفراف

يبزغُ طائرُ الرفرافِ من الموجةِ المعتمةِ

مثل زهرةٍ زرقاءَ، في منقارهِ

يحملُ ورقةَ شجرٍ فضيةً. أحسبُ أن هذا

هو أجملُ العوالم – ما دمتَ لا تأبهُ

بشيءٍ من الموت، كيف يمكنُ أن يمرَّ بك يومٌ

طوال حياتك

لا يحملُ رشقةً من السعادة؟

هناك أسماكٌ أكثر مما يوجدُ من أوراقٍ

فوق ألفِ شجرةٍ، وعلى أي حالٍ فإن طائرَ الرفرافِ

لم يولد ليفكّرَ بالأمرِ، أو في أي شيءٍ آخرَ.

حين تنغلقُ الموجةُ فوق رأسهِ الأزرقِ، يبقى

الماءُ ماءً – الجوعُ هو القصةُ الوحيدةُ التي سمعها في حياتهِ

مما يستطيعُ

تصديقه.

لا أقولُ إنه على صوابٍ. كما

لا أقولُ إنه مخطئٌ. بشعائريةٍ يبلعُ

الورقةَ الفضيةَ

بنهرها الأحمرِ المكسورِ، وبصرخةٍ جشّاءَ هينةٍ

ليس بوسعي أن أستنهضها من جسديَ المنشغلِ بالأفكارِ

حتى لو كانت نجاتي في ذلك، يحلّقُ

فوق البحرِ الساطعِ ليفعلَ الشيءَ ذاتَه، ليفعله

(كما أتوقُ لأن أفعلَ شيئًا ما، أيَّ شيءٍ)

بإتقان.

البجعة

عبْرَ المياهِ الواسعةِ

شيءٌ ما يأتي

طافيًا – سفينةٌ

نحيلةٌ

ورقيقةٌ، ملأى

بالأزهار البيضاءِ –

ويتحركُ

فوق عضلاته السحريةِ

كما لو أن الزمنَ غيرُ موجودٍ،

كما لو أن إحضارَ مثل هذه الهدايا

إلى الشاطئ القاحلِ

كانت سعادةً

فوقَ أن تُحتملَ.

والآن تديرُ عينيها الداكنتين،

تعيدُ ترتيبَ

غيومَ جناحيها،

تجرجرُ

قدمًا مكففةً بشكل واضحٍ،

بلونِ الفحمِ.

سريعًا ما ستكونُ هنا.

أوه، ما الذي ينبغي عليّ فعله

حين يستريحُ المنقارُ ذو اللون الأحمرِ

في يدي؟

قالت السيدة بليك عن الشاعر:

إنني أحنُّ إلى رفقةِ زوجي –

فهو غالبًا ما يكونُ

في الفردوسِ.

بالطبع! الطريقُ إلى السماءِ

لا يُقاسُ بالأميال.

إنه يكمنُ في الخيال

الذي تتلقى به

هذا العالم،

والعلاماتُ

التي تُجّله بها.

أوه، ما الذي سأفعله، ما الذي سأقوله،

حين ذانك الجناحان الأبيضان

يلامسان الشاطئ؟

الخامسة صباحًا في غابة الصنوبر

كنتُ قد رأيتُ

آثارَ أقدامهما في الأوراقِ

العميقةِ وعرفتُ

أنهما أمضتا الليلةَ الطويلةَ

تحتَ أشجار الصنوبرِ، ماشيتينِ

مثلَ امرأتينِ

بكماوينِ جميلتينِ صوبَ

الغابةِ الأعمقِ، لذا

نهضتُ في الظلامِ وذهبتُ

إلى هناك. جاءتا

ببطءٍ هابطتينِ من التلِّ

ونظرتا إليَّ وأنا جالسةٌ تحتَ

الأشجارِ الزرقاءِ، وبحياءٍ

تقدّمتا

لتكونا أقربَ وحدّقتا

من وراءِ رموشهما الكثيفةِ بل إنهما

قضمتا بعضَ ذؤاباتِ

الأعشابِ الرطبةِ. هذهِ
ليستْ قصيدةً عن حلمٍ ما،
رغمَ أنها من الممكنِ أن تكونَ كذلك.

هذهِ قصيدةٌ عن العالمِ
الذي هو ملكٌ لنا، أو ما يمكنُ أن يكونَ كذلك.
أخيرًا
إحداهما – أقسمُ على ذلك! –

كانتْ تهمُّ بالمجيءِ إلى ذراعيَّ.
ولكنَّ الأخرى
نقرتْ نقرةً حادةً بحافرها في
أوراقِ الصنوبرِ مثل

نَقْرِ العقلِ،
فمضتا مبتعدتينِ معًا عبْرَ
الأشجارِ. وحين استيقظتُ
كنتُ وحدي،
كنتُ أفكّرُ:
إذن هكذا تعومين إلى الداخلِ،
إذن هكذا تنسربين إلى الخارجِ،
إذن هكذا تصلّين.

شيءٌ واحد أو شيئان

.1

لا تزعجني.

فأنا

قد ولدتُ للتو.

.2

تحليقُ الفراشةِ المتبخترُ

يحملها عبْرَ دولةِ الأوراقِ

بلطفٍ، وبإتقانٍ يكفي ليحملها

حيث تريدُ الذهابَ، أينما كان ذلك، متوقفةً

هنا وهناك لتُسكرَ الحناجرَ الرطبةَ

للأزهارِ والطمي الأسودِ؛ متأرجحةً إلى الأعلى

وإلى الأسفلِ، مهتاجةً وبلا غايةٍ؛ وأحيانًا

للحظاتٍ طويلةٍ عذبةٍ في النسيمِ على الساقِ الناعمِ

لزهرةٍ مألوفةٍ.

.3

إلهُ الترابِ

جاءني عدةَ مراتٍ وقالَ

عديدًا من الأشياءِ الحكيمةِ واللذيذة، أستلقي

فوق العشبِ مستمعةً

إلى صوتهِ الكلبي،

إلى صوته الغرابي،

إلى صوته الضفدعي: *الآن*،

قال لي، *الآن*،

ولم يذكر لمرة واحدة على الإطلاق *إلى الأبد*.

.4

وهو ما كان دائمًا على الرغم من ذلك،

مثل حافرٍ حديدي حادٍّ،

في مركز عقلي.

.5

شيءٌ واحدٌ أو شيئانِ هما كلُّ ما تحتاجينه

لتسافري فوق النبعِ الأزرقِ، فوق النخالةِ

العميقةِ للأشجارِ وعبْرَ الأزهارِ

المتخشبةِ للبرقِ – ذكرىً ما

عميقةٌ للمتعةِ، معرفةٌ حادةٌ للألمِ.

.6

ولكن لكي ترفعي الحافرَ!

لأجلِ ذلك أنتِ بحاجةٍ

لفكرة.

.7

لأعوامٍ وأعومٍ بذلتُ قصارى جهدي

فقط لأحبَّ حياتي. وحينها

نهضتِ الفراشةُ

خفيفةً، في الريحِ.

«لا تحبي حياتك

أكثرَ مما ينبغي،» قالتْ لي،

وتوارتْ

في زحامِ العالم.

قصيدة الصباح

كل صباحٍ

العالمُ

يُخلقُ.

تحت العصيِّ

البرتقاليةِ للشمسِ

الرمادُ

المكدّسُ لليلِ

يتحولُ إلى أوراقٍ مرةً أخرى

تربطُ أنفسها في الأغصانِ العاليةِ

وتظهرُ الينابيعُ

مثلَ قماشةٍ سوداءَ

رُسِمتْ فوقها جزرٌ

من زنابقِ الصيف.

إذا ما كنتَ مجبولاً

على السعادةِ

فسوفَ تسبحُ بعيدًا على امتداد المساراتِ الناعمةِ

لساعاتٍ، وخيالك

مضطرمٌ في كلِّ مكان.

وإذا ما كانتْ روحك

تحملُ بداخلها

الشوكةَ

التي هي أثقلُ من الرصاصِ –

إذا كان ذلك كل ما تستطيعُ فعله

لتستمرَ في المشي بتثاقلٍ –

فثمة ما يزالُ

مكانٌ ما عميقٌ داخلكَ

وحشٌ يصرخُ أنَّ الأرضَ

هي تمامًا ما أرادته –

كلُّ نبعٍ بزنابقهِ المتوهجةِ

هو صلاةٌ تُسمعُ ويُستجابُ لها

بسخاءٍ،

كلَّ صباحٍ،

سواءٌ واتتك الجرأةُ

لتكونَ سعيدًا أم لم يحدث ذلك،

وسواءٌ واتتك الجرأةُ

لتصلّي أم لم تفعل ذلك.

الإوز البري

لا يتوجبُ عليك أن تكون طيبًا.

ولستَ بحاجةٍ لأن تمشي على ركبتيكَ

مائة ميلٍ عبر الصحراءِ لتعلنَ توبتك.

كلُّ ما عليك فعله هو أن تدعَ الحيوانَ الرقيقَ لجسدك

يحبُّ ما يحبه.

أخبرني عن اليأسِ، يأسك، وسأخبرك عن يأسي.

في هذه الأثناء يظلُّ العالمُ مستمرًا.

في هذه الأثناءِ تتحركُ الشمسُ وقطراتُ المطرِ

عَبْرَ الأريافِ

وفوق البراري والأشجارِ العميقةِ،

وفوق الجبالِ والأنهارِ.

في هذه الأثناء يتجه الإوزُّ البريُّ

عاليًا في الهواءِ الأزرقِ النقيِّ

إلى وطنه مجددًا.

أيًّا كنتَ، وبغض النظرِ عن مدى وحدتك،

فإن العالمَ يمنحُ نفسَهُ لخيالك،

ويدعوك مثل الإوزِّ البريِّ- أجشًا ومثيرًا

مرارًا وتكرارًا معلنًا عن مكانك

في عائلة الأشياء.

الرحـــلة

في أحد الأيام أدركتِ أخيرًا

ما يتوجب عليكِ القيامُ به، وشرعتِ فيه،

رغم أن الأصواتَ حولك

ظلت تصرخ

بنصيحتها السيئةِ -

رغم أن المنزلَ بأكمله

قد أخذ يرجفُ

وشعرتِ بالألمِ القديمِ

في كاحليك.

"أصلحي حياتي!"

كان كلُّ صوتٍ يصرخُ.

لكنك لم تتوقفي.

لقد كنتِ تعرفين ما يتوجب عليك فعلُهُ.

رغم أن الريحَ قد افترستْ

بأصابعها القاسيةِ

الجذورَ ذاتَها،

رغم أن كآباتهم كانتْ مريعةً.

كان الوقتُ قد فاتَ

بما فيه الكفايةُ، وكانت ليلةً موحشةً،

والطريقُ مليئةً بالأغصانِ المتساقطةِ

والأحجارِ.

لكنْ شيئًا فشيئًا،

حين تركتِ أصواتهم وراءك،

بدأتِ النجومُ تتوقّدُ

عبْرَ أوراقِ الغيومِ.

وكان ثمة صوتٌ جديدٌ

أخذتِ في التعرّفِ عليه ببطءٍ

وأدركتِ أنه صوتكِ،

الذي ظلّ بصحبتكِ

وأنتِ تذرعين العالمَ أعمقَ فأعمقَ

عاقدةً العزمَ على أن تقومي

بالشيءِ الوحيدِ الذي تستطيعين القيامَ بهِ

مصممةً على إنقاذِ

الحياةِ الوحيدةِ التي تستطيعين إنقاذها.

من

بدائية أمريكية

1983

الهريرة

مصابةً بالدهشةِ أكثرَ من أيِّ شيءٍ آخرَ
حملتُ الهريرةَ الكالحةَ السوادِ
التي وُلِدَتْ ميتةً
بعينها الوحيدةِ الكبيرةِ
وسط جبينها الصغيرِ
من بيتِ القطةِ داخل المنزلِ
ودفنتُها في حقلٍ
وراءَ المنزلِ.

أفترضُ أنه كان بوسعيَ أن أعطيها
لمتحفٍ ما،
كان بوسعيَ أن أتصلَ بالصحيفةِ
المحليةِ.

ولكنني بدلًا من ذلك أخذتُها إلى الحقلِ
وفتحتُ جوفَ الأرضِ
وأعدتُها هناك
قائلةً، كان الأمرُ حقيقيًا،

قائلةً، أيُّ عجائبَ أخرى

تقبعُ في عتمةِ بذرةِ الأرضِ، أجلْ،

أظنُّ أنني فعلتُ الصوابَ بخروجيَ وحديَ

وإعادتها بسلامٍ، وتغطيةِ المكانِ

بأزهار الأعشاب الطائشة.

ثعبانان

ذاتَ مرةٍ رأيتُ ثعبانينِ،

من عدّائي الشمال،

مسرعينِ عَبْرَ الغابةِ،

جسداهما

مثل سوطينِ أسودينِ

يرتفعانِ ويندفعانِ إلى الأمامِ؛

في تناغمٍ تامٍّ

كانا يرفعانِ رأسيهما عاليًا

ويسبحان إلى الأمام

على بطنيهما الناعمين؛

تحت الأشجارِ،

عَبْرَ الكرومِ، الأغصانِ،

فوق الأحجارِ،

عَبْرَ حقولِ الأزهارِ،

كانا يسافرانِ

مثل فريقٍ متجانسٍ

مثل رقصةٍ

مثل علاقةِ حب.

ليلة بيضاء

طوالَ الليلِ

أطفو

في الينابيع الضحلةِ

بينما القمرُ تجولُ

متوقدةً،

بيضاءَ كالعظام،

بين السيقان الحليبية.

ذات مرةٍ

رأيت يدها تمتدُّ

لتلمسَ رأسَ فأرِ المسكِ

الصغيرَ الناعمَ

وكان الأمرُ رائعًا، أوه،

لا أريدُ أن أخوضُ في مزيدٍ من الجدلِ

حول كلِّ الأشياءِ

التي اعتقدتُ أنني لن أستطيعَ

العيشَ بدونها! سرعانَ

ما ينسلُّ فأرُ المسكِ مع فأرٍ آخرَ

إلى قلعتهما

المصنوعةِ من العشبِ، الصباحُ

سيطلعُ من الشرقِ

أشعثَ ووقحًا،

وقبل ذلك

البركانِ الصعبِ

والجميلِ

من الضياءِ

أريدُ أن أطفوَ إلى الخارجِ

عبْرَ أمِّ

كلِّ المياهِ،

أريدُ أن أفقدَ نفسي

فوقَ الأمواجِ السوداءِ الحريريةِ،

متثائبةً،

جامعةً

الزنابقَ الطويلةَ

للنوم.

السمكة

السمكةُ الأولى

التي اصطدتُها على الإطلاق

ما كانتْ لتستقرَ

هادئةً في الدلو

بل إنها أخذتْ

تتأرجحُ وتمتصُّ

الدهشةَ الحارقةَ للهواءِ

حتى نفقتْ

في التدفقِ البطيءِ

لأقواس قزح. بعد ذلك

شققتُ جسدهَا وفصلتُ

اللحمَ عن العظامِ

والتهمتُها. أصبح البحرُ الآنَ

في داخلي. أنا السمكةُ، السمكةُ

تلمعُ داخلي؛ ننهضُ

معًا، متشابكينِ معًا، واثقينِ من السقوطِ

مرةً أخرى إلى البحرِ. وبدافع الألمِ،

والألمِ، ومزيدٍ من الألمِ

نُطعمُ هذه الحبكةَ المحمومةَ، ونغتني

باللغز.

في غابة بلاك وواتر

انظري، الأشجارُ
تحوّلُ
أجسادَها
إلى أعمدةٍ

من الضياءِ،
إنها تطلقُ العبقَ
الغنيَ للقرفةِ
والاكتفاءِ،

الشموعُ النحيلةُ
لشجرِ البوطِ
تتفتقُ وتطفو بعيدًا فوق
الأكتافِ الزرقاءِ
للينابيع،
وكلُّ نبعٍ،
بغضِّ النظرِ عن
اسمه، هو

دون اسمٍ الآنَ.

كلُّ عامٍ

كلُّ شيءٍ

سبق لي أن تعلمته

خلال حياتي

يعيدني إلى هذا: النيران

والأنهار السوداء للخسران

الذي يشكّلُ الخلاصُ

الوجهَ الآخرَ له،

الذي لن يعرفَ أحدٌ منّا معناه.

لتحيا في هذا العالمِ

عليك أن تتمكّنَ

من فعل أشياءَ ثلاثةٍ:

أن تحبَّ ما هو فانٍ؛

أن تتشبثَّ بهِ

لصيقًا بك موقنًا

أن بقاءَك يرتبطُ ببقائه؛

وَ، حين يحينُ الوقتُ لتدعه وشأنه،

أن تدعه وشأنه.

من

ثلاثة أنهار

كرّاس الشعر

1980

و«ثلاث قصائد لجيمس رايت»

1982

عند نبع بلاك وواتر

عند نبع بلاك وواتر المياهُ المهتاجةُ

استقرتْ

بعد ليلةٍ من المطرِ.

أغمسُ يديَّ المزموتين. أشربُ

لوقتٍ طويلٍ. طعمُهُ يشبه

طعمَ الحجرِ، الأوراقَ، النارَ. ينزلُ باردًا

داخلَ جسدي، موقظًا العظامَ. أسمعُها

عميقًا في داخلي، تهمسُ

أوه، ما ذاك الشيءُ الجميلُ

الذي حدثَ للتو؟

الأرنب

يدبُّ فيكِ الخوفُ،

وليس من سبيلٍ لأن يختفي.

والمطرُ، شقيقُ الجميعِ،

لن يجدي نفعًا. والريحُ التي كانت طوال هذه الأيام

تحلّقُ مثل عشر شقيقاتٍ مجنوناتٍ في كل مكانٍ

ليس بوسعها فعلُ شيءٍ. ليس من أحدٍ سوايَ،

ويديَّ اللتين تشبهان النارَ،

لتحملانهِ إلى الحفرةِ الأخيرةِ. أنتظرُ

لأيامٍ، في حين ينفتحُ الجسدُ ويبدأُ

في الغليانِ. أتذكّرُ

القفزَ في ضوءِ القمرِ، ولا أستطيعُ

أن ألمسَهُ،

راغبةً في أن يتعافى بمعجزةٍ ما

وأن ينهضَ

مرِحًا. ولكنني في النهايةِ

أفعلُ ذلك. وفي اليوم التالي الذي جرفتُ

الترابَ فيه، في حقلٍ قريبٍ

أعثرُ على عشِّ طيورٍ صغيرٍ مبطنًا شاحبًا
وفضيًا وصغارُ الطيورِ –
هل تصغي، أيها الموتُ؟ - تستمدُّ الدفءَ
في فراءِ الأرنب.

ثلاث قصائد إلى جيمس رايت

1. عند سماعي بمرضك

خرجتُ
من خَبَرِ مرضكَ
مثلَ عظمٍ مكسورٍ

نطقتُ اسمكَ
للقمر المنجليِّ ورأيتُ جناحها الأبيضَ
يتراجعُ إلى الوراءِ صوبَ السوادِ، ولكنها
جدّفتْ عميقًا متجاوزةً ذاك الترددَ، واستمرتْ في ارتفاعها.

وبعد ذلك هبطتُ
إلى جدولٍ أسودَ وغيضةِ نغتٍ
تمثّلُ روح أوهايو مثل لا شيءَ آخرَ
وأخبرتهم. كان ثمة بومةٌ هناك،

سئمتْ من جوعها ولكنها ما تزالُ

واقعةً في أسرهِ، غير قادرةٍ على أن تكونَ أيَّ شيءٍ آخرَ.

والجدولُ

احتسى الشرابَ فوق بعض الحجارةِ الداكنةِ

وأشجارُ النغتِ

تنفستْ بسرعةٍ في براعمها الحمراء.

وإثرَ ذلك أستلقي في حقلٍ كاملٍ يزخرُ بعذوبةِ الربيع.

الحشائشُ تنمو سريعًا في العتمةِ، وبعضُ صغارِ

الكائناتِ تخشخشُ في الجوارِ، مستمتعةً بحياتها

كما تفعلُ، لحظةً بلحظةٍ.

شعرتُ بتحسنٍ، مخبرةً إياهم عنكَ.

إنهم يعرفون ما هو الألمُ، وقد كانوا يعرفونك،

وكانوا سيوقِفون، كما كنتُ أنا أرغبُ، كلَّ شيءٍ، الجوعَ

والتدفقَ.

أنّهم لا يستطيعون ذلك –

فهم قد أحبّوكَ فحسبُ وانتظروا

ليستردوكَ

مثلَ حجرٍ،

مثلَ جدولٍ صغيرٍ سريعٍ في أوهايو،
مثل النبضِ الجميلِ لكلِّ شيءٍ،
وفي الأثناءِ ذاتها لا يُفرّطون في ذرّةٍ واحدةٍ

من مهماتهم للغناءِ والسعي –
كان هو ما تعلّمتُهُ هناك، لذا نهضتُ
أخيرًا، وقد تملّكني حزنٌ
يليقُ بك، ومضيتُ إلى المنزل.

2. صباح مبكر في أوهايو

ثلجٌ يهطلُ متأخرًا.
في الصباح الأبيضِ القطاراتُ
تصفّرُ وتُحدثُ دويًّا في ساحة الشحنِ،
مغيّرةً مسارها، ومتأهبةً
لتفرغَ من الأمر، ولتشرعَ في الذهابِ
إلى الريفِ مرةً أخرى، أن تذهبَ
بعيدًا من هنا وأكثر قربًا
من مكانٍ آخرَ.

على بعد ميلٍ، وقد غادرتُ المنزلَ، أسمعُها
وأتوقفُ، وقد اعترتنيَ الدهشةُ.

بالطبع. ظننتُ أنها ستتوقفُ حين توقفتَ أنت. ظننتُ أنكَ لن
تمرضَ أبدًا
على أيِّ حالٍ، أو، إن فعلتَ، فإن أوهايو
ستسقطُ أيضًا، حظيرةً
تلو حظيرةٍ مضيئةٍ، إلى

منحدرات تلالٍ من الألمِ: ألواحُ خشبٍ متشققةٌ،
مساميرُ محنيّةٌ، شبابيكُ
مهشمةٌ. كلبيَ العجوزُ
الذي لا يعرفُ بعدُ أنه فانٍ
يثبُ وهو يعرجُ
عَبْرَ الحشائش، ولا أفعلُ
شيئًا لأوقفه.

أتذكّرُ
ما قلتَهُ.

وأفكّرُ كيف أنه في مكانٍ ما في توسكاني
ثمة عنكبوتةٌ صغيرةٌ قد تكونُ الآنَ

تتقدمُ إلى الأمامِ، لتختبرَ

حريرَ شبكتها، هواءَ الصباحِ، الاحتمالاتِ، وربما حتى، من يدري،

غناءَ أغنيةٍ صغيرة.

وإذا ما صفيرُ القطاراتِ انسحب خلالي

مثل سلكٍ، حسنٌ، فمن الممكن أن أصابَ بالأذى أليس كذلك؟ الحقولُ البيضاءُ

تضطرمُ أو أنَّ عينيّ تعومانِ، أيًّا كان؛ على أي حالٍ أصفّرُ

للكلبِ العجوزِ وحين يأتي في نهايةِ الأمرِ

أهوي على ركبتيَّ في الثلجِ الملتمعِ،

وأطوقه بذراعيَّ.

3. الوردة

كان لديّ وردةٌ حمراءُ لأرسلها لك،

ولكنها كانت تفوحُ برائحةِ المناسبة، فكّرتُ،

لذا لم أفعل. على أي حالٍ

كان هو الوقتُ

الذي تفعلُ فيه أشجارُ الصفصافِ ما تفعلُهُ

كلَّ ربيعٍ، لذا اقتطفتُ بعضَ

الورودِ على مقربةٍ من أحد الجداولِ الداكنة وكنتُ مستعدةً

لإرسالها إليكَ حين وصلتِ الأخبارُ

التي فحواها

أنه ما من شيءٍ

يمكنه الوصولَ إليكَ

في الوقتِ المناسبِ

أبدًا.

وضعتُ الهاتفَ جانبًا

وظننتُ أنني رأيتُ، على أرضيةِ الغرفةِ، فجأةً،

صندوقًا كبيرًا،

وقد علمتُ، الشيءَ التالي الذي عليَّ فعله، هو أن أرفعه

ولم أكن أعرفُ إن كنتُ أستطيع.

حسنٌ، لقد فعلتُ ذلك.

ولكن لا تدعوه أيَّ شيءٍ

فيما عدا ما كانه – ثمة صوتُ

طائرٍ صغيرٍ يغرّدُ في الداخلِ، إلهي،

كيف غنّى، وواصلَ الغناء!

كيف يواصلُ الغناءَ!

في رباطةِ جأشه

العميقةِ

والمُعجزة.

من

إثنا عشر قمرًا

1979

النوم في الغابة

ظننتُ أن الأرضَ قد تذكّرتني،
لقد أخذتني مرةً أُخرى بكلِّ حنانٍ،
وهي ترتدي تنوراتها الداكنةَ، وجيوبها
المليئةَ بالأشنات والبذورِ.
نمتُ كما لم أنم من قبلُ، مثلَ حصاةٍ في قاعِ النهرِ.
ليس هنالك من شيءٍ يحولُ بيني وبين النارِ البيضاءِ للنجومِ
سوى أفكاريَ التي كانتْ تحومُ خفيفةً مثل فراشاتٍ
خلالَ أغصانِ الأشجارِ المتقنةِ.
طوالَ الليلِ سمعتُ المملكاتِ الصغيرةَ
تتنفسُ حولي، الحشراتِ،
والطيورَ التي تنجزُ عملها في الظلامِ.
طوالَ النهارِ نهضتُ وسقطتُ كما لو كنتُ في الماءِ،
متواشجةً مع قَدرٍ مضيءٍ. مع بزوغِ الصباحِ
كنتُ قد تلاشيتُ على الأقل إثنتي عشرة مرةً
إلى شيءٍ أفضل.

دخول المملكة

الغربانُ تراني.
إنها تمدُّ أعناقها الملتمعةَ
في أكثرِ أغصانِ الأشجارِ المخضرةِ
ارتفاعًا. من المحتملِ أنني
قد أكونُ مصدرَ خطرٍ، إذْ أدلفُ
إلى داخلِ المملكة.

حلمُ حياتي
هو أن أستلقي إلى جوارِ نهرٍ بطيءٍ
وأن أحدّقَ في الضوءِ الكامنِ في الأشجارِ –
أن أتعلمَ شيئًا بألا أكونَ شيئًا
لوهلةٍ قصيرةٍ سوى عدساتِ
الانتباهِ الثريةِ.

ولكنّ الغربانَ تنفشُ ريشَهَا وتنعقُ
بيني وبين الشمسِ،
ويتوجبُ عليّ أن أذهبَ الآن.
إنها تعرفني حقَّ المعرفةِ.

فأنا لستُ حالمةً،

ولا أقتاتُ على أوراقِ الأشجار.

مسافرُ الليل

محضُ عابرٍ، يمكنُ أن يكونَ أيَّ أحدٍ:
لصًا، أو تاجرًا، أو طبيبًا
في طريقهِ إلى منزلٍ يخيّمُ عليه القلقُ.
ولكنه حين يتوقفُ عند بابكِ،
تحت الغرفةِ حيثُ تضطجعين نصفَ نائمةٍ،
حينها تعلمين أنه ليس مجردَ أيّ شخصٍ –
إنه مسافرُ الليل.

تميلين بذراعيكِ على عتبةِ النافذةِ
وتحدقينَ إلى الأسفلِ. ولكنَّ كلَّ ما تستطيعين رؤيته
هي جذاذتٌ من البريّةِ الملصقةِ به –
غصيناتٌ، وطفالٌ رمليٌّ وأوراقُ شجرٍ،
وكرومٌ وبراعمُ. بين هذه
تحسّينَ بعينيهِ، ويديهِ
وهما ترفعانِ شيئًا ما في الهواءِ.

إنه يحملُ هديةً إليكِ، ولكنْ لا اسمَ لها.
الجوُّ عاصفٌ ومغبّشٌ.

يحملها في ضوءِ القمرِ، وهي تغنّي
مثل وحشٍ وُلِدَ للتو،
مثل طفلٍ في موسمِ الأعيادِ،
مثل قلبكِ وهو يعثرُ
في سريرِ الحبِّ الأخضرِ.
تحملينها، ويغيبُ.

طوالَ الليلِ – وطوال حياتكِ، إذا ما رغبتِ في ذلك –
سوف تحكُّ أنفها في وجهكِ، باردةَ الأنفِ،
مثل ذئبٍ صغيرٍ أبيضَ؛
سوف تتكوّرُ في راحةِ يدكِ
مثل حجرٍ أزرقَ صلدٍ؛
سوف تسيلُ في هيئةِ بركةٍ باردةٍ
سوف، حين تعومين فيها،
تمسكُ بكِ مثل فكٍ مُطَحْلبٍ.
غسْلٌ بالضوءِ. إجابة.

قمرُ القندس – انتحارُ صديق

حينَ في مكانٍ ما الحياةُ

تنكسرُ مثل لوحٍ من الزجاجِ،

ومن كلِّ جهةٍ تجلبُ لك الأصواتُ

العَرَضيةُ الأخبارَ،

تقولين: كان عليّ أن أعرفَ ذلك.

تقولين: كان عليَّ أن أكونَ واعيةً بذلك.

الجمعةُ الأخيرةُ تلك بدا

مريضًا جدًا، مثل متسلّقِ جبالٍ عجوزٍ

تائهٍ في المسالك البيضاءِ، مستمعًا

للثلجِ وهو يتكسّرُ إلى الأعلى، تحتَ

حذائهِ البالي. تقولين:

سمعتُ شائعاتٍ عن متاعبَ، ولكن بعد كلِّ شيءٍ

جميعنا نشكو من ذلك. تقولين:

ما الذي كان بوسعي فعلُهُ؟ وتمضين

مع الآخرين، لكي تدفنوه.

تلك الليلة، تنقلبين في فراشكِ

لكي تشاهدي القمرَ وهو يبزغُ، ومرةً أخرى

كيف يبدو عملةً معدنيةً صغيرةً

قبالةَ الظلمة، وكيف يكونُ كلُّ شيءٍ آخرَ

لغزًا، وأنتِ لا تعرفينَ

شيئًا أبدًا سوى أنَّ

ضوءَ القمرِ جميلٌ –

أنهارٌ من البياضِ تجري معًا

على امتداد الأغصان العارية للأشجارِ –

وفي مكانٍ ما، لأحدٍ ما، الحياةُ

تصبحُ لحظةً في إثرِ لحظةٍ

أمرًا لا يُحتمل.

الثعبان الأسود

حين الثعبانُ الأسودُ

قفزَ فجأةً في طريق الصباحِ،

ولم تستطعِ الشاحنةُ أن تنحرفَ –

الموتُ، هكذا حدث.

الآنَ يقرُّ متشابكًا ولا نفعَ منه

مثل إطارِ دراجةٍ هوائيةٍ قديم.

أوقفُ السيارةَ

وأحملُهُ إلى الأجمةِ.

إنه باردٌ وملتمعٌ

مثل سوطٍ مضفّرٍ، وهو جميلٌ وهادئٌ

مثل أخٍ مَيْتٍ.

أتركُه تحت أوراقِ الشجرِ

وأواصلُ القيادةَ، مفكّرةً

في الموتِ: فجاءَتِه،

وزنه الفظيع،

مجيئه الحتميّ. ومع ذلك فتحتَ

العقلِ تضطرمُ نارٌ أكثرُ نورًا، وهو ما لطالما

فضّلَته العظامُ.

إنها حكايةُ الثروة الطيبة اللانهائية.

إنها تقولُ للسلوان: ليس أنا!

إنها الضوءُ في مركزِ كلِّ خليةٍ.

إنها ما أرسلَ الثعبانَ ملتفًا ومتدفقًا إلى الأمامِ

بسعادةٍ طوالَ الربيعِ عَبْرَ الأوراقِ الخضراءِ قبلَ

أن يأتي إلى الطريق.

قمر الفراولة

.1

عمتي الكبرى إليزابيث فورتشن

وقفتْ تحت أشجار خرُّوبِ العسلِ،

القمرُ الأبيضُ فوق رأسها وثمة شابٌ بالقربِ منها.

تساقطتِ البراعمُ مثل ريشاتٍ بيضاءَ،

العشبُ كان دافئًا مثل فِراشٍ، والشابُ

ممتلئٌ بالوعودِ، ووجهُ القمرِ

نارٌ بيضاءُ.

لاحقًا،

حين رحلَ الشابُ بعيدًا وعادَ مع عروسٍ،

صعدتْ إليزابيث

إلى العليّةِ.

.2

ثلاثةٌ من النسوةِ جئنَ في الليلِ

ليغسلنَ الدماءَ،

ويحرقنَ الملاءاتِ،

ويأخذنَ الطفلَ بعيدًا.

هل كان ذكرًا أم أنثى؟

لا أحدَ يتذكر.

.3

لم تُرَ إليزابيث فورتشن مرةً أخرى

لأربعين عامًا.

كانت الوجباتُ تُرسلُ إلى الأعلى،

ويتم تبادلُ الغسيل.

عُدَّ ذلك حلًّا

أكثرَ ملاءمةً من العارِ

حين يكونُ بمرأىً من عيون القرية.

.4

أخيرًا، اسمًا تلوَ اسمٍ، ماتَ من يقطنون في الطابق السفليّ

أو أنهم رحلوا،

وكان عليها أن تنزلَ إلى الأسفلِ،

وهذا ما فعلَتْهُ.

في الواحدة والستين، صارت تُسكِنُ الطلابَ المؤقتينَ،

وتغسلُ أطباقهم،

وترتّبُ أسرتهم،

وتتحدثُ بكلِّ ما كان يتوجبُ عليها التحدثُ بهِ،

ولا شيءَ أكثرَ من ذلك.

.5

سألتُ أمي:

ما الذي حدثَ للرجلِ؟ فأجابت:

لا شيءَ.

رزقوا بثلاثةِ أطفالٍ.

كان يعملُ في حوضِ بناءِ السفن.

سألتُ أمي: هل حدث أن التقيا مرةً أخرى قط؟

فقالت، لا،

رغم أنه أحيانًا كان يأتي

إلى المنزلِ للزيارةِ.

وكانت إليزابيث، بالطبع، تبقى في الدور العلويّ.

.6

الآن النساءُ يجتمعن

فِي غرفٍ يغمرها الدخانُ،

قاسياتٍ مثل السياسيين،

مشاكساتٍ مثل الملاكمين.

وهل ينبغي لأحدٍ أن يُفاجأَ

إن حدث أحيانًا، حين يبزغُ القمرُ الأبيضُ

أن ترغب النسوةُ في أن يندفعن

بحدةٍ بالغة؟

قمرٌ زهريٌّ – النبع

تظنين أن ذلك لن يحدثَ مرةً أخرى أبدًا.

وإثرَ ذلك، في ليلةٍ من ليالي إبريل،

تستيقظُ القبائلُ مزغردةً.

تمضين نحو الشاطئِ.

مجيئك يدفعها للهدوءِ،

ولكنْ شيئًا فشيئًا يرتفعُ الصمتُ

حتى تكونَ الأغنيةُ في كلِّ مكانٍ

وروحكِ ترتفعُ من عظامكِ

وتخطو خطواتٍ واسعةً فوق الماءِ.

إنه لمن الجنونِ فعلُ ذلك –

لأنه ما من أحدٍ بوسعهِ العيشُ هكذا،

طافيًا في العتمةِ

فوق الماءِ الشفّافِ.

متروكةً على الشاطئِ عظامُكِ

تواصلُ صراخها *عودي!*

ولكنَّ روحكِ لا تستمعُ إليها؛

فهي على مبعدةٍ تتكشفُ

مثل زوجٍ من الأجنحةِ، إنها تتوهجُ

مثل أسلاكٍ ساخنةٍ. لذا،

كصديقةٍ وفيّةٍ،

تقررين أن تتبعيها.

تنزلينَ من الشاطئِ

وتهبطين حتى ركبتيكِ –

تشقينَ طريقك بصعوبةٍ إلى الأمامِ حتى فخذيكِ

وتغطسينَ حتى عظامِ خديكِ –

والآن أصبحتِ مغلولةً

بسلاسلَ الماءِ الباردةِ –

إنكِ تختفينَ بينما حولك

الضفادعُ تواصلُ غناءَها، رافعةً

موسيقاها إلى الأعلى عَبْرَ حنجرتكِ،

ودون أن تلحظي ذلك

تصيرينَ شيئًا آخرَ.

وهذا هو الوقتُ الذي يحدثُ فيه الأمرُ –

ترينَ كلَّ شيءٍ

عَبْرَ عيونِها،

بهجتِها، ضرورتِها؛

ترتدينَ أصابعَها المكففةَ؛

تنتفخُ حنجرتُكِ.

وهذا هو الوقتُ الذي تدركينَ فيه

أنكِ ستعيشينَ سواءٌ أعشتِ أم لا،

بطريقةٍ أو بأخرى،

لأن كلَّ شيءٍ هو كلُّ شيءٌ آخرُ،

عضلةٌ واحدةٌ طويلةٌ.

الأمرُ ليس أكثرَ غرابةً من ذلك.

لذا فإنك تشعرينَ بارتياحٍ، وتكفّينَ عن المقاومةِ،

العتمةُ آتيةٌ

تُدعى ماءً،

تُدعى نبعًا،

تُدعى الورقةَ الخضراء، تُدعى

جسدَ امرأةٍ

حينما تتحولُ لتصبحَ طميًا وأوراقَ شجرٍ،

حين تخفقُ في قفصِ الماءِ،

حين تدورُ مثل مغزلٍ وحيدٍ

في ضوءِ القمرِ، حين تقولُ

نعم.

عمتي الورقة

لأنني كنتُ بحاجةٍ لواحدةٍ، فقد اخترعتُها –
عمتي الكبرى العظيمة الداكنة مثل الجوزِ
المسماةِ الورقةَ اللامعةَ، أو الغمامةَ الطافيةَ
أو جَمالَ الليلِ.

عمتي العزيزة، كنتُ أنادي أوراقَ الشجرِ،
فتنهضُ، مثل لوحِ خشبٍ قديمٍ في البركةِ،
وتهمسُ بلغةٍ لا يعرفها أحدٌ سوانا نحن
الكلمةَ التي تعني *اتبعيني*،

وكنا نسافرُ
مبتهجتينِ كالطيورِ
خارجتينِ من المدينةِ المغبرّةِ لنوغلَ في الأشجارِ
حيث تُحوِّلنا نحن الاثنتين إلى
شيءٍ أسرعَ –
ثعلبين بأقدامٍ سوداءَ،
ثعبانيين أخضرين مثل الأوشحةِ،
سمكتين متلألئتين –
وطوال النهارِ كنّا نسافرُ.

في نهايةِ النهارِ كانت تُعيدني إلى بابِ منزلي
مع البقيةِ من أسرتي،
الذين كانوا طيبين، ولكنهم مُصْمتون كالخشبِ
ونادرًا ما برحوا مكانهم. في حين أنها،
المزيج العتيق من الريش ولحاء البتولا،
كانت تمشي في دوائرَ واسعةٍ كالمطرِ وبعد ذلك
تطفو مرةً أخرى

مبددةً أسمالَ الغسقِ
على جناحَيْ العثةِ المرفرفينِ؛

أو أنها تمشي مترهلةً من الحظيرةِ مثل الأبوسوم الرمادي؛

أو أنها تتعلقُ في ضياءِ القمرِ الحليبيِّ
متوهجةً مثل وسامٍ،
هذا الحلم العظميّ،
هذه الصديقةُ التي كنتُ بحاجةٍ ماسةٍ لها،
هذه المرأةُ المجبولةُ من أوراقِ الشجر.

من

النهر ستيكس، أوهايو

1972

التعرف على الهنود

رقصَ معتمرًا ريشًا، والأصباغُ تغطي أنفَهُ.

شيئًا فشيئًا ارتفع صوتُ الطبلِ، ضاخًا الدماءَ في عروقنا،

مرسلًا اهتزازًا غريبًا عَبْرَ الدماغِ.

النسرَ الأبيضَ، كان يُسمّى، أو السيد وايت،

وهو يأتى للمالِ الآنَ، في فصولٍ دراسيةٍ بُنيتْ

في سهول أوهايو، المحاطةِ بقبورِ

كلِّ آبائنا، ولكنْ مع غلبةٍ واضحةٍ لآبائه.

معلمونا كانوا يسمّون ذلك نشاطًا لاصفيًا.

ونحن كنا نسمّيه مرحًا. أما بالنسبةِ للسيد وايت،

الذي بدّل ملابسه وارتدى بدلة البائعِ الرثةِ، فلم يطلق عليها

أيَّ اسمٍ على الإطلاقِ حين جمع طبوله، ورحل،

وعجلاتُ سيارته تصدرُ صوتًا، خارجًا من باحةِ المدرسةِ موليًا

وجهه صوبَ الليل.

من

لا رحلة وقصائد أخرى

1963 و 1965

صباح في أرض جديدة

في أشجارٍ ما زالت تقطرُ ليلاً استيقظتْ طيورٌ
لا اسمَ لها، ونفضتْ أجنحتها المدببةَ، وغرّدتْ،
ببطءٍ، مثل حساسينَ تنخلُ عَبْرَ حلمٍ ما.
الشمسُ الزهريةُ هوتْ، مثل كأسٍ، في الحقولِ.
حصانان كستنائيان، وآخرُ رماديٌّ مرقّطٌ،
أكتافهم مبلولةٌ بالضوءِ، وشعرُهم الداكنُ يتدفقُ،
تسلقوا التلةَ. الضبابُ الأخيرُ تلاشى،

وتحتَ الأشجارِ، فيما وراء الاندفاعِ الزائلِ للزمنِ،
وقفتُ مثل آدمَ في جنتهِ الوحيدةِ
في ذلك الصباحِ الأولِّ، وقد استُلَّ من النومِ،
فاركًا عينيه، مستمعًا، مباعدًا أوراقَ الشجرِ
مثل غلافٍ ورقيٍّ يغطي هديةً هائلةً لا تصدّق.

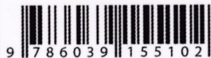
شعر: ماري أوليفر

مثل آدم في جنته

إنْ صحَّ ما يقال عن أنَّ الشاعر يمضي حياته كلها في كتابة قصيدة واحدة، بصيغ وأشكال وأصوات متعددة، فإن القصيدة تلك بالنسبة للشاعرة الأمريكية ماري أوليفر (١٩٣٥-٢٠١٩) تمتُّ بأواصر وصلات لا تهن ولا تنقطع بعالم واحد هو الطبيعة؛ الطبيعة بكل مكوناتها الحية وغير الحية، وكائناتها الأليفة وغير الأليفة، الجميل منها والقبيح، والصغير منها والكبير. كان شعرها أشبه بالنشيد المطول الذي لم ينقطع إلا مع رحيلها، في التغني بمفردات الطبيعة التي عشقتها ولازمتها واقتربت منها وعاشت فيها، وأكاد أقول، لها.

وإذا ما قدّر لك أن تقرأ شعرها عن قرب وتتأمله بحب، فإن إصابتك بعدوى حب الطبيعة أمر محتم ولا مفر منه. لن تعود نظرتك إلى شركائنا في الحياة على الأرض كما كانت. سيمتد بينك وبينها خيط علاقة لامرئي يجعلك أرفق بها وأحنى عليها وأقرب منها. على الأرجح أن ذلك لم يكن هدفًا تضعه نصب عينيها، ولكنه إن تحقق لدى بعض القراء فسيكون ذلك مصدر سعادة وبهجة لها؛ فالأدب العظيم بعد كل شيء هو ما ينجح في إحداث تغيير في نظرتك إلى الحياة وإلى العالم فلا تعود تراهما بعد قراءتك له كما كنت تراهما قبل ذلك.

ISBN: 978-603-91551-0-2



WWW.PAGE-7.COM

